تفسير سفر صموئيل الأول

جمع وتقديم

هلال أمين

تفسير سفر

صموئيل الأول

جمع وتقديم

هلال أمين موسى

٢٠١٢

تفسير سفر صموئيل الأول

جمع وتقديم : هلال أمين موسى

الناشر : دار الإخوة للنشر

تصميم الغلاف: مورنينج ستار ـ ت : ٢٦٢٣٦٩٥٧

كمبيوتر وإعداد فني: برديس بشرى

يطلب من: مكتبة الإخوة ٣ ش أنجه هانم ـ شبرا مصر ـ ت: ٢٥٧٩١٢٤٨

وفروعها:

مصر الجديدة: ٦٥ ش نخلة المطيعي ـ تريومف ت: ٢٢٩٠٤٠٠٣

الإسكندرية: ٦ ش الفسطاط – كليوباترة ت: ٥٤٦٥٣٦٦

المنيـــا: ٦ ش الجيش ت: ٢٣٦٤٤٠٦

أسيـــوط: ٢١ ش عبد الخالق ثروت ت: ٢٣٤٢٠٢٨

ومن المكتبات المسيحية الكبرى

طبع بمطبعة الإخوة بجزيرة بدران

Printed in Egypt

رقـم الإيـداع : ٩٧ / ١٤١٨٦

الترقيم الدولي : 977-5060-71-0

محتويات الكتاب

مقدمة

سفرا صموئيل وسفرا الملوك لهما في الترجمة السبعينية الاسم «السفر الأول والثاني والثالث والرابع للمملكة». ويظهر سفرا صموئيل الأول والثاني ككتاب واحد، وكذلك سفرا الملوك. كما أن سفري صموئيل أطلق عليهما اسم «الأنبياء الأولون».

ولا يعنى إطلاق اسم صموئيل على السفرين أن صموئيل هو كاتبهما لأن جزءًا كبيرًا من محتوياتهما حدث بعد موت صموئيل. والإشارة الأولى عن كاتبهما نجدها في ١ أخبار الأيام ٢٩: ٢٩ «وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي». وينسب التقليد اليهودي الأربعة والعشرين أصحاحًا الأولى إلى صموئيل لأنها تحوى تاريخ صموئيل حتى موته. ويذكر الأصحاح الخامس والعشرون موت صموئيل. والذي يؤكد هذا ما جاء في ١صموئيل١٠:٢٥ «فكلم صموئيل الشعب بقضاء المملكة وكتبه في السفر ووضعه أمام الرب» وأتم جاد الرائي وناثان النبي سفري صموئيل طبقًا لما جاء في التقليد اليهودي.

وهكذا يحوى هذان السفران استمرارًا لتاريخ إسرائيل. وتغطى الأصحاحات الأولى الفترة التي كان فيها الفلسطينيون لهم السيطرة

على إسرائيل والتي بدأ فيها شمشون «يخلص إسرائيل» (قض ١٣: ٥).

ويوصف صموئيل بأنه «رجل الله» (١صم ٩: ٦-١٠). نحن نجد رجل الله في الأزمنة الصعبة أمام الرب سواء في زمان إسرائيل قديمًا أو في أيام الكنيسة الآن. ولو كان الترتيب الإلهي قد سار في الطريق الصحيح لما وجدت الضرورة «لإنسان الله» أو «رجل الله». ونحن لا نعثر على مثل هؤلاء الأشخاص فيما دونه الروح القدس عن أيام المسيحية الأولى لأن الأمور كانت تسير في مجراها الطبيعي إذ كانت الكنيسة كلها ممتلئة من الروح القدس و«نعمة عظيمة كانت على جميعهم» (أع ٤: ٣٣). ولكن عندما تداعت المحبة الأولى وظهرت الفوضى نقرأ عن «إنسان الله»، وكان تيموثاوس هو الوحيد الذي وُصف بهذا الاسم في العهد الجديد (١تي ٦: ١١) ولا ريب أن الله أقام أمثاله كثيرين خلال القرون المتعاقبة، وتسجلت في السماء أمانتهم، وفى يوم المسيح سينالون المجازاة.

وفى الوقت الحاضر يوجد المجال لإنسان الله إذ منذ أن أخذ الرب رأس الجسد المقام من الأموات مكانه في الأعالي وضعفت حالة الكنيسة وُجد أصحاب المواهب المكرسون، وستظل هذه العطايا ما بقى جسد المسيح على الأرض وتلك هي محبته الأمينة له المجد.

ولكن من هو «إنسان الله»؟ إن موسى هو أول رجل يحمل هذه التسمية «رجل الله» (تث ٣٣: ١) وعنوان مزمور ٩٠ «صلاة لموسى رجل الله». وكان مسلكه بجملته مسلك التكريس مع شعب الله

المستعبد، وعن طيب خاطر حمل أثقالهم، وطوال سني الإغاظة لمدة أربعين سنة وفى صبر عجيب احتمل أنينهم وجحودهم، وأسمى من ذلك أنه توسل لله من أجلهم، وذهب في ذلك لدرجة أنه طلب أن يُمحَى من كتاب الله إذا كان في ذلك ما يجعل الله يغفر خطيتهم.

ويطلق هذا اللقب على موسى (عنوان مزمور ٩٠) وإيليا (١مل١٧: ١٨، ٢٤) وأليشع (٢مل ٤: ٩) وغيرهم وأيضًا ممن لم يذكر الكتاب أسماءهم.

وحين طرح موسى العبء عن كاهله تأسس الكهنوت كحلقة الاتصال بين الرب وشعبه، وكانت له المكانة الأولى بحيث لم يكن للقائد المدني أو الحربي سوى المكانة الثانية. وبعد موسى قيل عن يشوع «فيقف أمام ألعازار الكاهن فيسأل بقضاء الأوريم أمام الرب» (عد ٢٧: ٢١). لكن حين ظهر صموئيل في المشهد كانت الأمور حرجة حيث تحطم الكهنوت في شخص عالي إذ أجاز الإثم في أبشع صوره في أقرب الناس إليه مع أنه هو شخصيًا كان تقيًا لكنه لم يردعهم، فقد سيطرت العاطفة على ذهنه دون الأمانة للرب، وأوجب بنوه اللعنة على أنفسهم.

وكان الشعب ورئيس الكهنة الكل على خطأ في تلك الأيام التي «لم يكن فيها ملك» في إسرائيل، كل واحد عمل ما حسن في عينيه. والأصحاحات الأخيرة من سفر القضاة تعلن لنا الظروف المزعجة التي كانت سائدة في الأرض.

حتى في العائلة التي نشأ فيها صموئيل لم تكن الأمور حسنة، كما سنرى في حينه. كان أبوه لاويًا سليل قورح (١أخ ٦: ٣٣-٣٧) الذي استُثني أولاده من الموت في يوم تمرد أبيهم وذلك بمقتضى نعمة الله فصاروا فيما بعد بوابين واقفين في بيت الرب. وهكذا نجد قورحيًا فاشلاً، ورئيس كهنة يجيز الإثم الشنيع ويساكنه، وكل منهما يفعل ما يحسن في عينيه. فهل تنزل الدينونة من الله على هذا الشعب؟ كلا. عوضًا عن الدينونة أقام الله رجل الله صموئيل ليرد به شعبه الخائن ويشفيه. هذا هو موضع صموئيل في طرق الله.

وإن كانت العبارة التي وردت في خاتمة سفر القضاة «في تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل. كل واحد عمل ما حسن في عينيه» (قض ٢١: ٢٥) ترينا فشل إسرائيل بسبب فشل الكهنوت إذ كان عالي شيخًا مسنًا ضعيفًا، وكان ولداه حفني وفينحاس فاسدين وشريرين. وبسبب فشل إسرائيل استخدم الرب الفلسطينيين في ضربهم، وفكر إسرائيل في أخذ التابوت في محاولة للانتصار على الفلسطينيين ولكن أصابتهم الهزيمة، وأسر الفلسطينيون تابوت العهد وأُخذ إلى أشدود. وبعد عودة التابوت دعا صموئيل الشعب إلى التوبة، عندئذ ترك إسرائيل البعليم والعشتاروث وعبدوا الرب (١صم ٧). وكانت النتيجة النصرة على الفلسطينيين. وهكذا دائمًا عندما نحكم على الشر الذي فينا ونرجع إلى الرب بقلوبنا تكون النتيجة هي النصرة.

وقضى صموئيل للشعب لكنه بالأسف جعل بنيه قضاة لإسرائيل رغم أنهم كانوا أشرارًا مثل أولاد عالي إذ تحولوا إلى المكسب

وأخذوا رشوة وعوجوا القضاء (١صم ٨: ٣) وبسبب ذلك طلب شيوخ إسرائيل أن يكون لهم ملك وقالوا لصموئيل «هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك فالآن اجعل لنا ملكًا يقضي لنا كسائر الشعوب» (١صم ٨: ٥) وهم بذلك رفضوا الرب كملك عليهم وأعطاهم الرب ملكًا كشهوة قلوبهم.

وهكذا صار صموئيل خاتمًا للقضاة، ومسح أول ملكين في إسرائيل. ومن تثنية ١٧: ١٤ نعرف أن الملك كان متوقعًا حيث نجد القول «متى أتيت إلى الأرض التي يعطيك الرب إلهك وامتلكتها وسكنت فيها فإن قلت أجعل على ملكًا كجميع الأمم الذين حولي فإنك تجعل عليك ملكًا الذي يختاره الرب إلهك. من وسط إخوتك.. لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبيًا ليس هو أخاك».

كان يجب أن يكون في إسرائيل من يمثل الملك الحقيقي ومملكته هي تلك الموعود بها. وأشارت حنة في ترنيمتها النبوية إلى ذلك الملك «الرب يدين أقاصي الأرض ويعطى عزًا لملكه ويرفع قرن مسيحه» (١صم ٢: ١٠)، وأشار إليه بلعام العراف في نبوته «يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل فيحطم طرفي موآب ويهلك كل بني الوغى» (عد ٢٤: ١٧). والملك الحقيقي هو الرب يسوع المسيح له المجد.

كان شاول الملك من اختيار الشعب، وانتهى بفشل عظيم، وظهر بعد ذلك داود في المشهد، وكان مختار الله حسب قلبه. وداود وسليمان كلاهما رمز للمسيح سواء في توقيع القضاء أو في نشر السلام.

ويحوى سفر صموئيل الأول تقريرًا عن أعمال صموئيل ومسح شاول وداود كما يحوى وصفًا لمُلك شاول واضطهاده لداود.

وينقسم السفر إلى ثلاثة أقسام.

١- ميلاد صموئيل - طفولته وتأهيله لكي يكون قاضيًا.

٢- مسح ملك إسرائيل الأول شاول ورفضه.

٣- مسح داود ملكًا.

ويغطى سفرا صموئيل حوالي ١٢٠ سنة من تاريخ إسرائيل. وولد صموئيل حوالي سنة ١٠٩٠ ق. م. والشخصية البارزة في سفري صموئيل هي داود. ويذكر الكتاب المقدس الشيء الكثير عن داود أكثر من أي رجل آخر باستثناء الرب يسوع له المجد.

الأصحاح الأول

«كان رجل من رامتايم صوفيم من جبل أفرايم اسمه ألقانة بن يروحام بن أليهو بن توحو بن صوف. هو أفرايمي» (١صم ١: ١).

"رامتايم" هي الرامة، حيث وُلد صموئيل (ع ١٩) وحيث سكن (ص ٧: ١٧) وحيث دُفن (ص ٢٥: ١). ومعنى "رامة" رابية، ومعنى "رامتايم" رابيتان. وتقع رامة شمال أورشليم وعلى بعد ثمانية كيلومترات منها. أما صوف فهو أحد أسلاف ألقانة الذي أتى من أفرايم وسكن في رامتايم أو الرامة فتسمت باسمه. وصار اسمها "رامتايم صوفيم". ويسجل الوحي عن ألقانة أنه أفرايمي. وهو في الحقيقة لاوي (١أخ ٦: ٢٧) لكنه سكن في ميراث ملك سبط أفرايم لأن سكن اللاويين كان يُعطى لهم بالقرعة. وجاء في يشوع ٢١: ٢٠ «وأما عشائر بنى قهات (إحدى عشائر) اللاويين الباقين من بنى قهات فكانت مدن قرعتهم من سبط أفرايم».

ونرى في الأسماء أهمية، فألقانة يعنى المُمتَلَك من الله. وهو «ابن يروحام» ويعنى المحبوب بحنان، «ابن أليهو» أي أن إلهي هو الله، «ابن توهو» أي المنبطح على وجهه، «ابن صوف» أي قرص الشهد. ومن وضع معاني الأسماء بعضها بجانب البعض فإننا نجد

أن الشخص الممتلك من الله لابد أن يكون محبوبًا منه ويتمتع بحنان الله إلهه، وعلى استعداد أن ينبطح على وجهه لكي يقدم سجودًا له طعم الشهد في مذاقه. كما أن كلمة "صوفي" تعنى أيضًا المراقب أو المشاهد، ولأنها تأتى في الترتيب الاسم الخامس، والرقم ٥ كما نعلم يشير إلى المسئولية أي أن الشخص المُمتلك من الله يصبح مسئولاً أن يكون مشاهدًا ومميزًا لما حوله. هكذا كان صموئيل الذي كان يسكن في الرامة في موضع المشاهد من مكانه المرتفع في الرامة؛ الأمر الذي يناسب صموئيل كقاض.

وكان ألقانة زوجًا لامرأتين: "حنة" و "فننة". ويأتي اسم حنة أولاً، ومن ذلك نستنتج أن حنة لم يكن لها أولاد، لذلك تزوج ألقانة امرأة أخرى "فننة". ومعنى كلمة "حنة" نعمة. والنعمة لا تتفق مع العقم. وكان لابد أن تثمر أولادًا، وهذا ما نراه فيما بعد. أما كلمة "فننة" فمعناها لؤلؤة التي تعكس النور، لها لمعان الأمور الأرضية التي تسلب أحيانًا قلوب المؤمنين التي يجب أن تتثبت على النور الحقيقي ربنا يسوع له المجد.

ومع أن ألقانة تزوج امرأتين فليس من فكر الرب أن يتزوج الرجل امرأتين ولا أن يطلق الرجل امرأته. والذي خلق من البدء خلقهما ذكرًا وأنثى (مت ١٩: ٤). وفى الكنيسة يجب أن يكون الأسقف بعل امرأة واحدة (١تى ٣: ١٢)، وكذلك الشماس (١تى ٣: ١٢).

«وكان هذا الرجل يصعد من مدينته من سنة إلى سنة ليسجد ويذبح لرب الجنود في شيلوه» (ع ٣). ويذكر عن الله هنا أنه «رب

الجنود» رب كل جند السماء والأرض، رب الكواكب والنجوم والبشر. وجاء في يشوع ٥: ١٤ أنه «رئيس جند الرب» وهو رب الملائكة (١مل ٢٢: ١٩).

وكانت خيمة الرب قد أُقيمت في شيلوه (قض ١٨: ٣١). وقدم ألقانة ذبيحة السلامة للرب، وأحرق جزءًا منها على مذبح الرب والجزء الباقي كان لألقانة وعائلته. وكما جاء في العدد السابع كانت الخيمة تُسمى «بيت الرب» وكان على بنى إسرائيل أن يصعدوا ثلاث مرات في السنة إلى بيت الرب ليعيدوا هناك. عيد الفصح وعيد الخمسين وعيد المظال. لكنهم اكتفوا بالصعود مرة واحدة في السنة (لو ٢: ٤١). ولا نعرف في أي عيد صعد ألقانة.

وشيلوه هي سيلون الحالية شمالي بيت إيل، وعلى بعد عشرة أميال منها. وكانت مقرًا لعبادة بنى إسرائيل إلى وقت هزيمة إسرائيل عند حجر المعونة في أفيق حيث أخذ الفلسطينيون التابوت (١صم ٤: ١١). ولم يرجع التابوت إلى شيلوه مرة أخرى.

وكان عالي من نسل هرون من ابنه الأصغر إيثامار. وهو أول من مارس منصب رئيس الكهنة من نسل إيثامار. وبقى هذا المنصب لبيت عالي إلى أبياثار في الجيل الرابع ثم رجع إلى نسل أليعازار، ومارس عالي منصب رئيس كهنة وقاض معًا وقضى لإسرائيل ٤٠ سنة.

والصعود للرب للسجود في شيلوه كان يثير المواجع لدى حنة لأن ضرتها كانت تغيظها هناك لأجل المراغمة أي لأجل المكايدة. ووصلت حنة إلى قمة المواجع في هذه المرة «فبكت ولم تأكل» أي لم

تأكل من الذبيحة تطبيقًا للشريعة (تث ٢٦: ١٤). وإذ لم تكن تحتمل أكثر من ذلك فقد نذرت في قلبها أنه إذا أعطاها الرب زرع بشر أي طفلاً ذكرًا فإنه يكون نذيرًا للرب. لقد طلبت حنة من الرب أن يعطيها زرع بشر ليس لإشباع غريزة الأمومة فقط أو لتتخلص من مكايد فننة لها بل أيضًا ليصبح نذيرًا للرب. لقد وجدت الخراب في بيت الرب، وما كان يفعله ابنا عالي الكاهن حفني وفينحاس، فاشتاقت أن ترى رجلاً مكرسًا للرب يقدر أموره ولا يستهين بتقدمة الرب ويعيش حياة القداسة. ونجد شريعة النذير في سفر العدد أصحاح ٦، وبلغها الرب الجواب عن طريق عالي الكاهن أن الرب سيعطيها سؤل قلبها. ولم يعد وجهها مغيرًا بعد. لقد أعلمت الرب بطلبها «لتُعلم طلباتكم لدى الله» وعندئذ ملأ قلبها السلام «وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع» (في ٤: ٦، ٧).

وفى رد حنة على عالي الكاهن نرى وداعتها إذ ظنها سكرى وقال لها «حتى متى تسكرين». فأجابته قائلة «لا يا سيدي. إني امرأة حزينة الروح ولم أشرب خمرًا ولا مسكرًا بل أسكب نفسي أمام الرب. لا تحسب أمتك ابنة بليعال». لقد علمها الرب بحرمانها من الأولاد الصبر والصلاة والاتكال على الله.

لم يكن لعالي الكاهن التمييز الروحي لإرشاد شعب الله حيث لم يقدر أن يميز بين امرأة سكرى وامرأة حزينة الروح تسكب نفسها أمام الرب. كان يجب أن يكون رئيس الكهنة سالكًا مع الله حتى يقدر أن يرثى لشعبه في أحزانهم وضيقاتهم ويكون رحيمًا بهم. ولكنه لم

يكن كذلك بل ظن حنة سكرى وأخذ يوبخها. على أنه كان تقيًا، ولما سمع منها جوابًا صادرًا عن حزن وانكسار قلب عاد فقال لها «اذهبي بسلام وإله إسرائيل يعطيك سؤلك الذي سألته من لدنــه». وتعكــس دهشة الرجل لرؤيته امرأة تصلي واتهامه لها بالسُكْر حالة إســرائيل المحزنة في تلك الأيام، وصار من الواضح أن القليلين جدًا هم الــذين كانوا يطلبون وجه الرب بالصلاة، وأن السكر كان ظاهرة عامة بين الشعب في أيام الأعياد وفى شيلوه.

استجاب الرب صلاة حنة ليس فقط بولادة صموئيل بل أعطاهــا الرب خمسة آخرين ولأن صموئيل البكر يعتبر باثنين فكأنه أعطاهــا سبعة فهو يعطي أكثر جدًا مما نطلب أو نفتكر.

ومعنى كلمة صموئيل «الذي سألت من الرب» وقد أعطى لحنــة نتيجة للصلاة لذلك كان رجل صلاة.

ولم تذهب حنة إلى شيلوه مرة أخرى حتى فطم الصبي، وعندئذ ذهبت لتتمم نذرها وتقدمه للرب. وأخذت معها ثلاثة ثيران وإيفــة دقيق وزق خمر. وهناك ذبحوا الثور. والثور المذكور هنا محرقة (لا ١: ١-٩). والمحرقة رمز للمسيح الذي أرضى الله تمامًــا فــي خدمته. أما الدقيق فهو رمز لشخصه المبارك كالإنســان الكامــل. والخمر يشير إليه كموضوع ســرور الله وشــبعه. أمــا الثــوران الآخران فكانا تقدمة ألقانة السنوية، الواحد منهــا ذبيحــة ســلامة، والآخر ذبيحة خطية (لا ٣: ٤).

ذهبت حنة إلى شيلوه بعد فطام الصبي لأنه ما كان في استطاعته أن يخدم الرب قبل فطامه، إذ أن فطامه كان يعنى أنه معتمد على الرب اعتمادًا كليًا، وأنه وجد شبعه فيه. «يا رب لم يرتفع قلبي ولم تستعل عيناي ولم أسلك في العظائم ولا في عجائب فوقي. بل هدأتُ وسكّتُ نفسي كفطيم نحو أمه نفسي نحوى كفطيم» (مز ١٣١: ١، ٢).

وقالت حنة لعالي الكاهن «أسألك يا سيدي» أي ألتمس منك أن تسمع كلامي وقالت أيضًا «حية هي نفسك» وها هي تؤكد كلامها لأنه ربما لا يصدقها عالي أنها هي التي كانت عاقرًا وولدت ابنًا. وقالت أيضًا «وأنا أيضًا قد أعرته للرب» وكلمة «أعرته» في العبرية تعنى «سألته» أي أنا الآن أرد للرب ما سألته منه. وذلك كي يخدمه جميع أيام حياته. وكان هذا أمرًا صعبًا عليها ولكن محبتها للرب ولبيته أعطتها القدرة أن تعطيه للرب. وسجد هناك للرب أي بدأ صموئيل منذ حداثته يخدم الرب.

كان صموئيل الرجل الغيور الثابت المصلى. كان طريق البركة قد أغلق لعالي. لكن الرب لا يفشل في أن يهيئ لنفسه شخصًا آخر تستمر به البركة. وكان هذا الرجل الآخر هو صموئيل.

الأصحاح الثاني

ترنيمة حنة النبية

الحقيقة الجديرة بالانتباه أن روح الله لم يشأ ولا في حادث واحد أن يستخدم امرأة لكتابة الكتاب المقدس، ولا شاء أن يضع امرأة في الزمرة الرسولية مع أنه له المجد كان محوطًا بنساء لم يكن أقل من الاثنى عشر رسولاً في المحبة والتكريس لشخصه المبارك، ومع ذلك فإن عددًا من أسمى الترانيم في كلمة الله انسكب من شفاه نساء مكرسات. فنشائد مريم أخت موسى وكذلك دبورة وحنة ومريم المطوبة تؤلف كنزًا روحيًا ثمينًا.

صلت حنة وأنشدت، تلك التي صارت أمًا لصموئيل رجل الصلاة وجدة لهيمان مرنم الهيكل (١أخ ٦: ٣٣) صلت أولاً طالبة ابنًا. وفى ضيقها بكت وهى تصلى. والرب في جوده سمع صرخة جاريته. وفى الوقت المعين ولد الابن وسُمى صموئيل الذي معناه "مسئول من الله" لأنها قالت «من الرب سألته» ومن تلك اللحظة كرسته أمه للرب طبقًا لنذرها وصلاتها. وهى في ذلك قدوة للأمهات في كل العصور لكي تكون لهن الرغبة في تربية أولادهن في خوف الرب وإنذاره، ولكي يكونوا منفصلين للرب.

وهذه الأنشودة انطلاقة إيمانية عجيبة ترتفع بأسلوبها على مستوى الظروف، وعطية الابن لحنة هي المناسبة لتلك الانطلاقة! لكن فكر الله مشغول كثيرًا بالمسيح وعن طريق أداة متواضعة هي أم صموئيل تكلم عنه روحه كملجأ لإسرائيل. وكان في فكر الله ملك غير أن صموئيل لم يكن المعين للوظيفة الملكية، وقد ظهر رجل اختيار الله في الوقت المعين وهو داود. ومع ذلك فليس هو مسيح الله الحقيقي بل الرب يسوع المسيح. وعندما يأتي الوقت المعين من الله ليدخل عرشه فإنه سيرعد من السماء ويحطم كل مقاوميه. ونحن على ثقة أنه لن يستقيم شيء حتى ينتقل الصولجان إلى يده الراسخة المقتدرة ويسمو الرب وحده في ذلك اليوم.

صلت حنة. ومع أن كلامها تسبيح وليس فيه طلبة واحدة لكنه صلاة لأن التسبيح جزء من الصلاة كما نرى في حبقوق ٣، وتسمت مزامير داود صلوات مع أن أكثرها تسبيح وشكر «بالنهار يوصى الرب رحمته وبالليل تسبيحه عندي صلاة لإله حياتي» (مز ٤٢: ٨).

امتلأ قلب حنة بالروح القدس ولذلك فاض قلبها بكلام صالح يصل في مستواه إلى المزامير. وتشبه هذه التسبيحة تسبيحة العذراء مريم في لوقا ١: ٤٦-٥٥. ولا عجب في ذلك لأن الروح القدس هو الذي أعطى التسبيحتين. ونجد فيها أقوالاً نبوية تصل إلى أقوال الأنبياء.

تبدأ حنة تسبيحتها بتمجيد الرب وتعظيم اسمه وذكر معاملاته معها فتصل إلى القواعد الأساسية التي تؤول إلى تنقية الأرض وبركتها تحت سيادة المسيا.

تذكر حنة فرحتها من خلال اختباراتها بخلاص الرب الأمر الذي يعبر عن رضاه عليها وتقول إن قرنها ارتفع، الأمر الذي يشير إلى زيادة القوة مثل الثور الذي يرفع رأسه علامة القوة والشجاعة.

اتسع فمها على أعدائها. كانت صامتة مدة عقمها لأن ليس لها ما تتكلم به، لكن عندما استجاب الرب لها وولدت ابنًا زال عارها وتكلمت. لقد ابتهجت بخلاصه. كانت تجاربها عظيمة وحزنها شديدًا ولكنها كأنها كانت تقول «في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (رو٨: ٣٧). وأصبحت الآن تتحدى أعداءها لأن الرب هو أساس قوتها.

وتقول حنة أيضًا «ليس قدوس مثل الرب» إذ لا يوجد إنسان آخر في قداسته ويقول عنه مرنم مزمور ٤٥ «أحببت البر وأبغضت الإثم» إنه لا يعمل البر فقط لكنه يحبه، ويبغض الإثم. هو شجرة التفاح بين أشجار الوعر، معلم بين ربوة، كذلك تقول «لأنه ليس غيرك». وتقول أيضًا «وليس صخرة مثل إلهنا» أي أن الصخرة ظل باهت لأمنته. والذين يخصهم يقفون على صخرة الخلاص، وأيضًا «على هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» فهذه الصخرة هي شخصه المبارك.

توجه حنة بعد ذلك أقوالها إلى المتكبرين قائلة «لا تكثروا الكلام العالي المستعلي» أي الكلام المتكبر، ولا يوجد شيء يبغضه الرب مثل الكبرياء. وكانت الكبرياء هي خطية الشيطان التي بسببها أسقطه الرب. ويذكر الكتاب «قبل الكسر الكبرياء وقبل السقوط تشامخ الروح» (أم ١٦: ١٨) وتقول حنة إن التكلم بالكبرياء أمام الرب ليس سوى وقاحة «ولتبرح وقاحة من أفواهكم».

«لأن الرب إله عليم» أي كلي العلم. عيناه تخرقان أستار الظلام، ليس شيء غير مكشوف أمامه، لا يعلم الظواهر فقط بل أيضًا الدوافع الداخلية للقلب.

«وبه توزن الأعمال» لأن عنده الميزان الصحيح. وقال لبيلشاصر ملك بابل عن طريق الكتابة على مكلس الحائط «وزنت بالموازين فوُجدت ناقصًا» (دا ٥: ٢٧).

«قسي الجبابرة انحطمت والضعفاء تمنطقوا بالبأس» أي أن الجبابرة المفتخرين بقوتهم تكسرت أسلحتهم، أما الذين تعثروا بسبب شعورهم بالضعف فقد تمنطقوا بالقوة. وهذا يذكرنا بقول الرسول بولس «حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى» (٢كو ١٢: ١٠).

«الشباعى آجروا أنفسهم بالخبز والجياع كفوا» الشباعى الذين يقولون «أنا غنى وقد استغنيت» أصبحوا ملزمين أن يؤجروا أنفسهم لكي يحصلوا على الخبز، أما الجياع فقد كفوا أي استغنوا. وأساس شبع الجياع هو الإقبال بالإيمان إلى الرب يسوع له المجد الذي قال «من يقبل إلى فلا يجوع» (يو ٦: ٣٥). وطوّب الرب الجياع والعطاش إلى البر لأنهم يشبعون (مت ٥: ٦) أي أن الذين يشعرون بجوع وعطش إلى عمل البر سوف يشبعون في ملكوت ربنا يسوع المسيح حيث يرونه يعمل أعمال البر.

نأتي بعد ذلك إلى حالة حنة الشخصية إذ تقول «أن العاقر ولدت سبعة» لأن الرب أعطاها صموئيل الذي يحسب باثنين وأعطاها أيضًا خمسة آخرين، أما كثيرة البنين مثل فننة فقد ذبلت.

وتقول حنة أيضًا «الرب يميت ويحيى. يهبط إلى الهاوية ويصعد...» (ع ٦-٩) نجد في هذه الأعداد فكر الله من خلال طرقه مع الناس إذ يميت الأشرار ويقيم الأبرار. والذين يقامون كانوا قبلاً أمواتًا. وتعلموا أولاً طريق الموت في أنفسهم ويختبرون بعد ذلك طريق القيامة والحياة، وبكرهم في ذلك هو ربنا يسوع المسيح له المجد الذي في طريق خلاصنا وصل إلى الموت تحت دينونة الله، أطاع حتى الموت موت الصليب لذلك رفعه الله أيضًا وأقامه وأجلسه عن يمينه في السماء. لقد وصل إلى المجد، ولابد أن نصل نحن أيضًا إلى المجد. هو الذي جعل الشرفاء شرفاء والقديسين قديسين وأفاضل.

«ويملّكهم كرسي المجد» ليس فقط ما سوف نصل إليه بعد انتقالنا من هذا العالم بل هنا أيضًا. ومثال ذلك ما عمله مع يوسف الذي خرج من السجن ليتسلط على مصر، والملك داود الذي كان راعيًا وجلس على كرسي المملكة.

«لأن للرب أعمدة الأرض وقد وضع عليها المسكونة» الرب هو الذي يعلق الأرض على لا شيء وهو الحامل لها بكلمة قدرته، هو الذي يحفظ الأرض والنجوم والكواكب لكي تدور في أفلاكها بكل دقة ولا تنحرف عنها وكأنها ترتكز على أعمدة ثابتة.

وتصل حنة في ترنيمتها إلى مقاصد يهوه من جهة شعبه إذ تقول «أرجل أتقيائه يحرس» لأنهم بقوة الله محروسون، وهو يحرسهم ليس فقط من الأضرار التي قد تصيبهم بل أيضًا من ارتكاب الشر، وفي صموئيل الأول ٢٥ حين رفض نابال الكرملي أن يعطى شيئًا لغلمان

داود قال داود «هكذا يصنع الله لأعداء داود وهكذا يزيد إن أبقيت من كل ما له إلى ضوء الصباح بائلاً بحائط» (١صم ٢٥: ٢٢) لكــن الله أرسل له أبيجايل امرأة نابال لتمنعه من ارتكاب الشر. أما الأشــرار ففي الظلام يصمتون، وسوف يحدث ذلك لهم في الظلمــة الخارجيــة حيث البكاء وصرير الأسنان. لأن مخاصمي الرب ينكسرون، لابد أن تصيبهم الهزيمة، سوف يرعد عليهم حين يأتي ظاهرًا بالقوة والمجــد لكي ينقى ملكوته من المعاثر وفاعلي الإثم. «لأنه ليس بالقوة يغلــب الإنسان» لا بقوة الإنسان الجسدية يغلب في الحرب ولا بكثرة الجيوش بل بقوة الله. فعلى الإنسان أن يصلى ويتكل على الله.

«الرب يدين أقاصي الأرض» وفى هذا نرى بر الله حيث «أقــام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل» (أع ١٧: ٧١).

«ويعطى عزًا لملكه ويرفع قرن مسيحه» يقينًا كانت عين الــروح القدس على الرب يسوع المسيح «أما أنا فقد مســحت ملكــي علــى صهيون جبل قدسي» (مز ٢: ٦). هذا الملك الذي سوف تجثو له كل ركبة ممن في السماء ومــن علــى الأرض ومــن تحــت الأرض. ويعترف كل لسان أنــه هــو رب لمجــد الله الآب. وتــذكر كلمــة «مسيحه» لأول مرة في الكتاب هنا.

عدد ١١-١٧

قبل أن يسجل الروح القدس الفساد العظــيم لأولاد عــالي يــذكر صعود صموئيل، أي قبل أن تنقطع الرابطة بين يهوه وشــعبه عــن

طريق الكهنوت بسبب فساده يقيم الرب لنفسه نبيًا ليكون رابطة بينه وبين شعبه. كان أولاد عالي يخدمون في الأمور المقدسة لكنهم كانوا يمارسونها بقلوب فاسدة. والقداسة الظاهرية هي أردأ أنواع الفساد، وهذا ما نراه في المسيحية الاسمية إذ يخدمون في الأمور المقدسة وهم تحت قيادة الشيطان إله هذا الدهر.

ومع أن أولاد عالي كانوا كهنة من عائلة الكهنوت، وكان الرب قد قال لموسى أن كل ذكر من الكهنة يأكل من ذبيحة الخطية وذبيحة الإثم التي يقدمها شعب إسرائيل للرب (لا ٦: ٢٦ ؛ ٧: ١، ٦) وأيضًا لهرون وبنيه جزء كبير من ذبيحة السلامة (لا ٧: ٣١، ٣٤)، وأيضًا من تقدمة الدقيق (لا ٦: ١٤، ١٦)، إلا أنهم لم يكتفوا بالجزء المخصص لهم، وكانوا يرغمون الشعب لكي يعطوهم الشحم المخصص ليهوه أيضًا، وكانوا يضاجعون النساء المجتمعات في باب خيمة الاجتماع.

ونجد ذكرًا قليلاً عن صموئيل في ١صموئيل ٢ كما لو كان الروح القدس أراد أن يقيم مفارقة بين الإناء الذي اختاره الله حديثًا وبين بنى بليعال، فنقرأ في عدد ١١ «وكان الصبي يخدم الرب أمام عالي الكاهن» وأيضًا «وكان صموئيل يخدم أمام الرب وهو صبى متمنطق بأفود من كتان» (ع ١٨) وهنا توكيد لطهارة صموئيل وسط الجو المحيط به. كما يذكر عنه «وأما الصبي صموئيل فتزايد نموًا وصلاحًا (أي نعمة) لدى الرب والناس أيضًا» (ع ٢٦). (قارن ما جاء في لوقا ٢: ٥٢).

وبعد ذلك يأتي الحكم الخطير العتيد أن يُنفّذ على عائلة الكهنوت. وهكذا تحول كل شيء إلى رجل الله صموئيل الذي كان يجرى تأهيله للمركز الخطير الذي كان عتيدًا أن يشغله. كان ينبغي أن يتجرد الكهنوت من مركز الامتياز السابق بوصفه حلقة الاتصال بين الرب وشعبه، وأن يأخذ صموئيل مكان موسى كوسيط إلى حد ما ويملأ المكانة الخاصة التي سوف يشغلها ويملأ الثغرة التي تخلفت عن الكهنوت الفاسد.

لقد فشل الكهنوت، وسوف نرى بعد ذلك فشل المُلك، وهكذا نرى فشل الإنسان في أي مركز يوضع فيه، ونعرف أن ليس سوى واحد فقط يستطيع المرء أن يثق فيه هو ربنا ومخلصنا يسوع المسيح.

بالمقارنة مع أولاد عالي نرى صموئيل في خدمته الصغيرة وهو في الأفود الذي ألبسته له أمه، كما كان طاهرًا بسيطًا وهو يرى في رداء من الكتان الأبيض! الجبة الصغيرة التي عملتها أمه من سنة إلى سنة عند صعودها مع رجلها لذبح الذبيحة السنوية، ولم يكن يلبس الأفود سوى رؤساء الكهنة، لكن لبسه داود أيضًا في ٢صموئيل ٦: ١٤ ولم يكن الأفود هنا مزينًا كما في حالة رؤساء الكهنة في يوم الكفارة العظيم بل من كتان أبيض فقط. وقد تم ذلك ليظهر الفرق بين صموئيل الطاهر والكهنة من حوله.

أصبحت حنة الآن مثمرة بأولادها السبعة الأمر الذي يرينا انتصار النعمة وقداسة الله وأمانته.

لم يعد الكهنوت قادرًا على الوقوف أمام الله ومنع الشر، ولم يعد عالي قادرًا على ردع أولاده. كان انتهاره لهم ضعيفًا، وكان ذلك

سببًا في استحضار دينونة الله على بيت عالي لا سيما حفني وفينحاس اللذين ماتا بخطيتهما.

«وجاء رجل الله إلى عالي وقال له: هكذا يقول الرب هل تجليت لبيت أبيك وهم في مصر في بيت فرعون» (ع ٢٧) لا يذكر هنا اسم رجل الله ولكنه كان رجلاً شجاعًا. وإنذار عالي قبل سقوط بيته بزمن دليل على رحمة الله، إذ كان يريد منه أن يلجأ إليه طالبًا الغفران. وكلمة «هل تجليت» استفهام إيجابي أي أن الرب تجلى لبيت أبيه و «انتخبته (أي هرون) من جميع أسباط إسرائيل لي كاهنًا ليصعد على مذبحي ويوقد بخورًا ويلبس أفودًا أمامي ودفعت لبيت أبيك جميع وقائد بني إسرائيل» (ع ٢٨). كان ما أنعم به الرب عليهم يجب أن يخجلهم لأنهم خانوا من كان أمينًا معهم، وأفسدوا شعب الله إذ استهانوا بذبيحته وتقدمته التي أمر بها في المسكن، وأكرم عالي بنيه عن الرب. والاستهانة علامة الاحتقار. أخذوا الذبائح لأنفسهم وحسبوها مأكولات فقط ولم يروا فيها مغفرة الخطايا بدم المسيح الموعود به، والشكر لله على رحمته. وكان ينبغي على عالي الكاهن أن يعزلهم من الكهنوت.

وكان الرب قد قال إن الكهنوت لهرون وبنيه فريضة أبدية، وجدد الوعد لفينحاس بن أليعازار بن هرون الكاهن (عد ٢٥: ١١-١٣) بسبب غيرته لله. ولا نعرف كيف انتقل الكهنوت من نسل أليعازار إلى نسل إيثامار. ومواعيد الله صادقة وثابتة بشرط الطاعة. وإذا خان أحد الكهنة فينبغي عزله.

قُتل حفني وفينحاس، وبعد ذلك صار أخيطوب بن فينحاس كاهنًا ثم ابناه أخيا وأخيمالك، ثم أبياثار بن أخيمالك، وفي أيام سليمان عزل أبياثار وتعين صادوق من نسل أليعازار. وبقى الكهنوت لنسل صادوق إلى أيام المسيح.

«فإني أكرم الذين يكرمونني» نحن نكرم الرب بحفظ وصاياه وعمل مشيئته ومحبتنا له أكثر من جميع أحبائنا، وهو يكرمنا هنا وأمام كرسي المسيح.

«هوذا تأتى أيام أقطع فيها ذراعك وذراع بيت أبيك حتى لا يكون شيخ في بيتك» ذراعك أي قوتك. وقوة البيت شبانه. وقتل الفلسطينيون حفني وفينحاس، وقتل دواغ الأدومي في نوب خمسة وثمانين من الكهنة (١صم ٢٢: ١٨، ١٩).

«وترى ضيق المسكن في كل ما يحسن به إلى إسرائيل ولا يكون شيخ في بيتك كل الأيام» لقد أخذ التابوت (ص ٢: ٣٢) ولم يرجع إلى شيلوه. وبعد أيام سليمان لم يعد لشيلوه ذكر.

«ورجل لك لا أقطعه من أمام مذبحي...» أكثر البلايا المُشار إليها أصابت نسل عالي بعد موته (ص ٢٢: ١٨، ١٩ و ١مل ٢: ٢٧) ومن لا يقطعه الرب يكون محفوظًا ليحتمل البلايا.

«وهذه لك علامة تأتى على ابنيك حفني وفينحاس. في يوم واحد يموتان كلاهما» (ع ٣٤).

وحين مات ابناه عرف أن النبوة كلها ستتم. أما الكاهن الأمين المشار إليه في عدد ٣٥ فهو صموئيل الذي وإن لم يكن كاهنًا لكنه مارس خدمة الكهنوت.

الأصحاح الثالث

ليس أمرًا غريبًا أن يكون هناك إعلان ليلى لصبى مثل صموئيل، لأن الرب يريد منا أن نرجع ونصير مثل الأولاد «الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تـدخلوا ملكـوت السـموات» (مت١٨: ٣). وحين نكون مثل الأولاد نكون أكثر إيجابية بلا تردد، فنتعلم فكر الله بأكثر سرعة.

وليس قول بلا دلالة الذي نقـرأه عـن عـالي «عينـاه ابتـدأتا تضعفان. لم يقدر أن يبصر» فالضعف الجسماني لم يكن إلا صورة محزنة لحالته الروحية. ونقرأ في ٢ بطرس ١ عن الإنسان الذي لا يقدم في إيمانه فضيلة أنه أعمى قصير البصر قـد نسـى تطهيـر خطاياه السالفة، فلا توقف في الأمور الروحية فإنه إما أن يسير إلى الأمام أو إلى الوراء.

كان سراج الله آخذًا في الانطفاء في القدس. لقد كان على هرون وبنيه أن يرتبوا السرج من المساء إلى الصباح أمـام الـرب دائمًـا. والسراج رمز للشهادة. وكانت شهادة إسرائيل للأمم في ذلك الوقـت ضعيفة بسبب فساد القادة. وبعد ذلك بوقت قصير صـاحت قديسـة وهى تحتضر «قد زال المجد من إسرائيل» وكانت على حق.

بدأ بيت عالي يزول وكاهن الرب الأمين بدأ يظهر في الميدان. ركض صموئيل إلى عالي، ولكن مع الأسف كان كل ما استطاع أن يقوله عالي لصموئيل هو «ارجع واضطجع» إذ لم يكن لعالي أية رسالة يبلغها للصبي لأنه كان شيخًا ضعيف البصر فلم يستطع أن يصرف وقته إلا في النوم والظلام بينما كان صوت الرب يُسمع بقربه. لقد انعدم التمييز عن عالي ولم يدرك أن الله كان يتكلم مع صبى. ومع ذلك تردد النداء ثلاث مرات. وأخيرًا جاء الرب ودعا صموئيل كالمرات السابقة وقال «صموئيل صموئيل. فقال صموئيل تكلم لأن عبدك سامع». وما حدث في شيلوه تلك الليلة ليس له سابقة حيث لم يسبق أن رأينا ظهورًا إلهيًا في إسرائيل من أي نوع. ولو أن عالي كان فاهمًا روحيًا لأدرك تصرف الله سريعًا غير أن العجوز المسكين كان نائمًا ولم يسعه إلا أن يقول «اذهب واضطجع» ويقول الرسول بولس «فلا ننم كالباقين بل لنسهر ونصحو» (١تس ٥: ٩). وأخيرًا تحقق عالي أن الرب يدعو الغلام وقال له «ويكون إذا دعاك تقول تكلم يا رب لأن عبدك سامع» وكما وجه عالي صموئيل إلى كيفية الاستجابة لهذا النداء هكذا يجب أن يعمل الكبار كل ما بوسعهم لمساعدة الصغار ويأخذوا بأيديهم ليعرفوا طريق الرب. وعندما أجاب صموئيل حذف كلمة «الرب» واكتفى بالقول «تكلم لأن عبدك سامع» وربما يكون قد خاف أن ينطق باسم الرب بدافع من الخوف المقدس. وكانت الرسالة التي سمعها صموئيل مذهلة فها هو الرب عتيد أن يفتقد بالغضب عالي وبيته بسبب شر بنيه ولأنه لم يردعهم. وربما يجد البعض أنه شيء غريب أن تعطى رسالة كهذه لغلام. ألم

يجد الرب شيخًا يقوم بهذه الخدمة؟ وهنا تحضرنا رسالة يوحنا الثانية التي كُتبت لتعرفنا فكر الرب عن المعلمين الكذبة وتعاليمهم المهلكة ولم يخاطب الرسول غايس الحبيب بل كيرية المختارة وأولادها ليقفوا بجانب الحق ويوصدوا أبواب بيوتهم أمام هؤلاء العلمين الكذبة. قد يقترح الفكر الإنساني أن يعهد بهذه المهمة للرجال، وتبقى النساء والأولاد بعيدًا عن هذا التصرف العنيف، لكن حين يتفشى الشر فليس لأحد أن يعتذر»

لا شك أنها كانت صدمة أليمة لصموئيل أن يبلغ عالي هذه الرسالة وكان ذلك إيذانًا بدخوله لأول مرة في حقائق الخدمة والشهادة لله في عالم شرير. وفى رده على تساؤل عالي أخبره صموئيل بجميع الكلام. غير أن عالي لم يسعه إلا أن يحنى رأسه قائلاً «هو الرب. ما يحسن في عينيه يعمل». لم يرتفع إلى مستوى عمل نشيط، ولا أظهر إحساسًا صادقًا بالشر والهوان اللذين كان ينطوي عليهما الموقف المحزن كله، لم يلتجئ إلى الله بالاعتراف بالشر وطلب الغفران، ولم ينتهز الفرصة التي أُعطيت له من الله.

كان ذلك طليعة إعلانات عديدة لصموئيل. وكبر صموئيل وكان الرب معه ولم يدع شيئًا من جميع كلامه يسقط إلى الأرض. لقد تكلم الرب بواسطة الشخص الذي كانت له الأذن السامعة، وهذه هي طريق الله ولا تزال. وقال سيدنا وهو ينطق بأمثاله «من له أذن للسمع فليسمع». إن المجموعة العامة في المسيحية الاسمية أصبحت اليوم في حالة عدم اكتراث متزايد لعرفة مشيئة الرب والعمل بها،

غير أن الإنسان الذي له الأذن السامعة لا يفشل في النمو في معرفة الله وكلمته.

ولم يفشل النبي الشاب في كسب احترام الشعب. لم يستهن أحد بحداثته، فقد اتضح أمام كل قلب متدرب أن الله في بره يدين الكهنوت، وأنه لا يترك شعبه. وفي سمو محبته أنشأ حلقة اتصال جديدة بينه وبينهم في شخص صموئيل. «وعرف جميع إسرائيل من دان إلى بئر سبع أنه قد أؤتمن صموئيل نبيًا للرب» أي من أقصى الشمال إلى أقصى جنوب تخوم إسرائيل.

ولكن هل الآباء والأمهات مسئولون أمام الرب عن الشرور التي يعملها أولادهم؟ ينبغي أن نردعهم حين يخطئون، كما نصلي لكي يساعدنا الرب في تربيتهم في خوف الرب وإنذاره، ونرسلهم إلى مدارس الأحد ونكون لهم القدوة الحسنة في تصرفاتنا وأقوالنا، ونعمل المذابح العائلية كل يوم معهم. وحين نؤدي واجبنا نحوهم فلابد أن الرب يكافئ اهتمامنا ويأتي بهم إلى دائرة الإيمان به.

الأصحاح الرابع

لم يكن لصموئيل يد في الأعمال التي انتهت بضياع التابوت، لكن لا يسعنا أن نتجاوز الكارثة ونحن نتناول حياة النبي. في مطلع الأصحاح الرابع نقرأ «وكان كلام صموئيل إلى جميع إسرائيل» أي أن كلامه حدث بجملته. وهكذا نتعلم أن هزيمة الشعب وموت ابني عالي وضياع التابوت كانت كلها إتمامًا للرسالة الحزينة التي كان الرب قد استودعها للصبي صموئيل في إعلان الليل.

أخطأ الشعب ضد الله، وكان شر قادتهم واضحًا، ومع ذلك فقدوا الإحساس بحالتهم حتى تجاسروا على الدخول في معركة مع الفلسطينيين، وقتل نحو أربعة آلاف رجل في موضع عرف في أيام سعيدة باسم «حجر المعونة» والذي يذكرنا بالمقولة المأثورة «إلى هنا أعاننا الرب». إن إلهنا الأمين الرحيم على استعداد دائمًا لمعونة من يدينون أنفسهم ثم يلتمسون رحمته باتضاع. ولا ينبغي أن ننسى أن إله إسرائيل هو إلهنا وأن كل ما سبق فكُتب كُتب لأجل تعليمنا.

حين عاد الجيش المهزوم إلى المحلة قال الشيوخ «لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين» أليس السبب واضحًا؟ هل الله القدوس يجيز الشر في شعبه ثم يخلصهم من أعدائهم؟ لقد اعترفوا بربوبيته

«كسرنا... الرب» لكنهم فقدوا الإحساس أنهم أشرار وأنهم يتعاملون مع إله قدوس.

قال الرب لهم مرة «إياكم فقط عرفت من جميع قبائل الأرض لذلك أعاقبكم على جميع ذنوبكم» (عا ٣: ٢) هذا مبدأ في غاية الخطورة. فوجودنا في علاقة خاصة مع الله شيء مبارك وخطير في آن واحد. عندما شرع الرب في إدانة شعبه قديمًا قبل السبي البابلي قال لرسل القضاء «وابتدئوا من مقدسي» (حز٩: ٥) كما هو مكتوب أيضًا «ابتداء القضاء من بيت الله» (١بط ٤: ١٧) فإذا تعافى الشعب عما هو جدير بالرب فإن إله المجد لن يسكت ولن يفشل في إدانة الهوان الذي يلحق باسمه القدوس.

اقترح شيوخ إسرائيل علاجًا للموقف وقالوا «لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا» هم ينسبون الخلاص إلى التابوت، صحيح أنه سار أمامهم يوم عبروا الأردن، ويوم أحاطوا بأسوار أريحا، ولكن هل كان التابوت هو العامل في تلك المناسبات أم الله؟ إذًا فهم ينسون الله ويملأون أذهانهم بمجرد رمز يأخذ مكانه. لقد استبدلوا بالله علاقة ظاهرية منظورة، وذلك هو جوهر الوثنية. وحتى نور الإنجيل لم يستطع أن يقي المسيحية الاسمية من هذه الخطية. وطالما رأينا أن المعمودية وعشاء الرب مع أنهما امتيازان من الرب ويوحيان بالشيء الكثير للذهن الروحي لكنهما قد أصبحا معتمد الجماهير في يومنا، وليس ذلك فقط بل أيضًا أدخلوا تماثيل وصورًا في أيام الكوارث واجتازوا بها في

الشوارع لتقي الشعب مما يخافونه. ما أبشعه أمرًا في عيني ذاك الذي أعلن ذاته في شخص ابنه، وأعطى الناس كلمته المكتوبة!

وضاعف إسرائيل الشر حينما استحضروا معهم حفني وفينحاس. وكان هذان الشريران مسئولين عن التابوت، ويا لها من إساءة، لم يكن الله الغاضب بطيئًا في الانتقام منها.

وصياح الفرحة بين إسرائيل إثر وصول التابوت ورعب الفلسطينيين عندما سمعوا الخبر كان شهادة على أن كلا الطرفين لم يقدر حقيقة التعامل مع الله، فالفلسطينيون قالوا «قد جاء الله إلى المحلة» وأعادوا إلى ذكرياتهم كيف أن الله القدير إله إسرائيل حطم قوة المصريين فتشددوا ليقاتلوا بأكثر قوة عرفوها لكنهم بأسلوبهم كانوا سيحاربون الله! وفى جهلهم أخطأوا بين الرمز وبين اللاهوت ذاته المرموز إليه، وإنما حالة إسرائيل المنحطة هي التي جعلتهم ينتصرون للمرة الثانية حيث «كانت الضربة عظيمة جدًا وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف راجل» وقد كان من الممكن أن ينال التحدي الفلسطيني جزاءه المحق لولا أن الشعب كان بحاجة إلى درس يتلقنه. فالتابوت الذي وثقوا به أُخذ منهم، «ومات ابنا عالي حفني وفينحاس». يسجل آساف في مزمور ٧٨: ٦١ أن الله «سلم للسبي عزه وجلاله ليد العدو» فقد كانت الكارثة كاسحة. هل كان يخطر ببال موسى وهرون أن تابوت عهد سيد كل الأرض يمكن أن يصبح غنيمة لعدو وثنى؟

إن المُخبر – رجل العيان – الذي أخبر عالي بالكارثة ذكر هروب إسرائيل وكسرتهم أمام الفلسطينيين في المقام الأول، وكأن ذلك في

نظره هو الأكثر أهمية، وبعد ذلك ذكر موت حفني وفينحاس، وأخيرًا أُخذ تابوت الله. ورغم قسوة كل هذه الأخبار لكن ما قضى على عالي التقى لم يكن إسرائيل ولا حتى أولاده بل لما ذكر تابوت الله أنه سقط عن الكرسي. لقد كان الضعف والتردد هما علة خراب الكاهن الشيخ. ليت الرب في رحمته يحمينا من هذا الفخ الذي يلائم طبيعتنا وهى في اليسر والراحة وليهبنا نعمة لكي تثبت أقدامنا حين تتعرض المصالح الإلهية للخطر.

وفى نفس الروح التقوية لعالي الكاهن كانت امرأة فينحاس التي نلاحظ أن الوحي قبل أن ينسبها إلى فينحاس زوجها فقد نسبها إلى عالي إذ يقول «وكنته امرأة فينحاس.. عند احتضارها قالت لها الواقفات عندها لا تخافي لأنك قد ولدت ابنًا» لقد أردن أن يقلن أن هذا الولد سيعوضك عن الرجل الذي مات لكن ما قيمة الرجل، لا سيما إذا كان مثل فينحاس، وما قيمة الولد بالمقابلة مع التابوت الذي أُخذ.. لقد أُضيف أحد الأولاد إلى إسرائيل لكن في المقابل أُخذ التابوت. صحيح كان الولد شيئًا عظيمًا عند كل نساء العهد القديم بسبب الوعد الإلهي في تكوين ٣: ١٦، أما التابوت فقد كان كل شيء عند أتقياء إسرائيل. لذلك «لم تجب ولم يبال قلبها» ولم تنطق سوى باسم الصبي «فدعت اسمه إيخابود قائلة قد زال المجد من إسرائيل».

والحديث عن المجد في إسرائيل ذو شجون. فأول ما ظهر مجد الرب لإسرائيل كان في ابتداء ظهورهم كأمة، وهم لا يزالون في أرض مصر (خر ١٣) وصار هذا المجد لخلاصهم إذ فصل بينهم

وبين أعدائهم (خر ١٤)، ومرة ثالثة ظهر في خروج ١٦ وفي كل ذلك كانت معاملات الرب مع شعبه نعمة مطلقة.. لكن عند جبل سيناء وقد كان منظر الرب كنار آكلة فوق الجبل (خر ١٩، ٢٤) فإن بني إسرائيل لم يحتملوا هذا المجد فقالوا لموسى «تكلم أنت معنا فنسمع ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت» (خر ٢٠: ١٨، ١٩) لقد كان هذا المشهد ناموسًا مطلقًا بدون نعمة وكما فشل الشعب تحت النعمة إذ لم يقدرها، فإنه فشل تحت الناموس إذ لم يحتمله. وبعد أن كسر موسى لوحي العهد فإنه صعد مرة أخرى فوق الجبل، وفي هذه المرة تقابل الله معهم لا بنعمة خالصة ولا بناموس خالص بل بناموس ونعمة معًا (انظر خر ٣٤: ٥-٧) وفوق الجبل لم يأخذ موسى فقط مطاليب الله؛ الناموس بل أيضًا نموذج الخيمة، وفيها تابوت العهد حيث طلب الله من موسى أن يحفظ داخله الشهادة، كأن الله أعطاه السؤال وأعطاه أيضًا نموذج الإجابة أو الإجابة النموذجية، فتابوت العهد هو رمز لربنا يسوع المسيح الله الظاهر في الجسد إنه الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يحفظ الناموس وينفذ كل مطاليب الله، ولذا فبمجرد أن صنع موسى أدوات الخيمة ثم أقام الخيمة ثم وضع الشهادة في التابوت ووضع التابوت في مكانه، وأتم موسى العمل فإن سحابة المجد استقرت على التابوت.

لقد كان عرش الله على الأرض هو تابوت العهد. فعلى الكروبين اللذين فوق الغطاء كان يجلس رب الجنود ولذا فقد دعيا «كروبا المجد» ودعا داود التابوت نفسه «تابوت عز الرب» وأيضًا «مجد الرب» (مز ١٣٢: ٨ ؛ ٢٦: ٨).

هل كان يخطر على بال موسى أو هرون أن هذا التـــابوت الـــذي يدعى عليه بالاسم، اسم رب الجنود سيؤخذ إلى شعب الفلســـطينيين؟ هل كان أمرًا محتملاً على أي تقي أن يؤخذ التـــابوت؟ (انظـــر مـــز ٧٨: ٥٦-٦٤). أين إذن سيستقر المجد؟ وماذا سيفعل رئيس الكهنة في يوم الكفارة ؟ آه، إن من لهم قلب لأمور الرب فإن ما حدث كـــان بالتأكيد أكبر من طاقة احتمالهم، فلا عجب أن انقلب المخاض علـــى هذه المرأة التقية وماتت.

إن كلمة إيخابود تعنى «أين المجد»؟ أو «لا مجد» وهى كلمة دلت على فطنة روحية كبيرة اتصفت بها هذه المرأة. لقد ميزت مســـبقًا الحالة التي سيدخل إليها الشعب، فقد كتب ولفترة طويلة (نحو سبعين سنة) كلمة إيخابود على الأمة كلها إلى أن جاء داود وأعاد التـــابوت لكن إلى مكان جديد وأعظم، وهو في هذا رمز لابن داود ربنا يسوع المسيح الذي سيعيد المجد في صورة أشمل وأروع. لقد أراد داود أن يبنى بيتًا لهذا التابوت (٢صم ٧) لكن الرب قال له إن ابنه ســـليمان هو الذي سيبنى البيت. وبعد أن بنى سليمان الهيكل العظـــيم، بيـــت سكن الرب، وفى أورشليم، وعندما أدخل الكهنة تابوت عهد الرب إلى مكانه، ثم خرجوا من القدس، فقد ملأ السحاب بيت الرب ولم يستطع الكهنة أن يقفوا للخدمة بسبب السحاب لأن مجد الرب ملأ البيت.

يا له من يوم عظيم في تاريخ أمة إسرائيل.. لكن الـــرب شـــجع وحذر سليمان بالقول «قدست هذا البيت الذي بنيته لأجل وضع اسمي فيه إلى الأبد.. إن كنتم تتقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي.. فـــإني

أقطع إسرائيل عن وجه الأرض.. والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي» (١مل ٩: ٣-٧).

وبالأسف سليمان نفسه انقلب وعبد الأوثان، ومن ورائه أبناؤه واحتملهم الرب طويلاً حتى جاءت لحظة القضاء كما تنبأ حزقيال، وفارق المجد أورشليم (حز ١٠: ١١) وتكررت من جديد كلمات هذه المرأة التقية «إيخابود» لكن بصورة أرهب، فقد سبوا إلى بابل سبعين سنة ثم عادوا بعد ذلك بلا تابوت على الإطلاق، فقد جاء نبوخذ نصر وأحرق بيت الله وأهلك جميع آنيته الثمينة وكان من ضمنها تابوت العهد، فتمت على أورشليم كلمات حزقيال النبي «هي رثاء وتكون لمرثاة» (حز ١٩: ١٤).

لكن الرب في رحمته أرجع بقية قليلة إلى أورشليم، وبنوا الهيكل بدون التابوت، لكن النبوات كلها كانت تشير إلى قرب حضور الرب بنفسه إليهم، المجد الحقيقي (حج ٢: ٩ وزك ٦: ١٢و ملا ٧: ١).

لقد قالت الواقفات «لا تخافي لأنك قد ولدت ابنًا» لكن كيف لا تخاف وقد زال المجد؟ لكن عندما حان موعد ظهور المجد الحقيقي ربنا يسوع المسيح جاءت هذه الكلمة في وقتها بعد فترة صمت دامت نحو أربعمائة سنة «لا تخف يا زكريا» وبعدها بنحو ستة أشهر جاءت الرسالة الثانية للعذراء مريم «لا تخافي يا مريم» ثم بعد عدة أشهر أخرى ليوسف خطيب مريم «يا يوسف ابن داود لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك» وأخيرًا عندما ولد الرب فعلا وحضر المجد وظهر لجماعة الرعاة «مجد الرب أضاء حولهم» فقال لهم الملاك «لا تخافوا

فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب أنه ولد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب». لكن آه من غباء هذه الأمة، ففي هذه المرة لم يأخذ الغلف التابوت، بل هم أنفسهم سلموا الرب يسوع إلى الأمم.. فزال المجد من إسرائيل للمرة الثالثة.

وكما لم تبال امرأة فينحاس بالولد فإن المجدلية لم تبال بالملاكين عند القبر الفارغ بعد القيامة لأنه «أين المجد؟». لكن الرب يسوع قام من الأموات وظهر لمريم المجدلية وكفكف دموعها. ثم ارتفع إلى السماء. والآن نحن بالإيمان نراه مكللاً بالمجد والكرامة. لكنه قريبًا سيعود وستبصر كل عين مجده «لأن الأرض تمتلئ من معرفة مجد الرب كما تغطي المياه البحر» (حب ٢: ١٤). ومن الجميل أن نلاحظ أن الهيكل الألفي كما تنبأ عنه حزقيال لن يكون فيه تابوت لأن الرب نفسه سيكون ظاهرًا لكل عين (إش ٣٣: ١٧)، وعلى الكل سيكون المجد غطاء (إش ٤: ٥).

هل لاحظنا نحن زوال المجد عن المسيحية في هذه الأيام؟ صحيح أن هيكل الرب أيام تلك المرأة التقية لم يكن قد نقض، لقد ظل باقيًا في شيلوه وبقى فيه مذبح النحاس وبقيت المائدة والمنارة. ولكن أين التابوت؟ أين المجد؟ وهكذا الآن في المسيحية لا زال هناك من يخلصون على أساس عمل المسيح على الصليب ولا زال هناك من يشبعون بشخصه ومن يستنيرون بنوره لكن ما أقل من يقدرون في مسيحية اليوم، التابوت الحقيقي أي شخصه هو له المجد، وحضوره المبارك مركز اجتماعات القديسين الذي يحضر وسط أي

اثنين أو ثلاثة مجتمعين إلى اسمه على أساس مبدأ الجسد الواحد (مت ١٨: ٢٠).

أخيرًا نقول لماذا لم يذكر الكتاب المقدس اسم هذه المرأة ؟ لعل السبب هو أنه في أزمنة طغيان الشر فإن الأتقياء يكونون مجهولين من العالم، لكن عين الله لا تخطئهم. وذكر الله اسم الرجل الذي اقترنت به وعاشت معه ليصور لنا في أي وسط عاشت هذه المرأة التقية بمستوى راق جدًا من الحساسية والفطنة الروحية حيث عاشت مع شخص مثل فينحاس واحتملته رغم شروره الفظيعة بل وأحبته حتى أنها عند سماعها خبر موته انقلب مخاضها وماتت، لكنها وضعت عالي قبل زوجها لأنه رئيس الكهنة القاضي التقى على أن ما وضعته في المقدمة كان هو تابوت الله. لقد نبتت كزهرة السوسن البيضاء وسط الطين، وهكذا كانت التقوى في أردأ الأوساط شرًا ونجاسة.

الأصحاح الخامس

أما وقد سُبى التابوت فقد بات كل نظـام إسـرائيل الـديني فـي الخراب. لقد كان التابوت الرمز المنظور ليسكن الرب بالنعمة وسط شعبه. فهو رمز عظيم معبر عن المسيح الموعود به في أزمنة العهد القديم. فالمواد التي تألف منها تتحدث عن شخصه الكريم؟ فخشـب السنط يحدثنا عن ناسوته الذي لا يقربه الفساد، كما الـذهب عـن لاهوته، وغطاء الرحمة يتكلم عن ذبيحته الكفارية العظيمة المقبولـة لدى الله إذ لم يكن الدم المكفر ليغيب عنه إطلاقاً. ثم خذ ما كان فـي داخل التابوت العصا التي أفرخت وقسط المن ولوحا العهـد. كلهـا تتحدث عن الوظائف والخامات المختلفة التي شاء أن يشـغلها فـي رحمته. ولما كانت الخيمة بغير تابوت كان يقـال بحـق إن الـرب ارتحل. ولم تكن خدمة الكهنوت مُيسّرة جائزة فكيف يمكـن إتمـام فرائض يوم الكفارة مادام عرش الرب غير موجود في القدس ليتقبل الدم المرشوش؟ على أن هذا كان قاعدة كل معاملات الله مع شـعبه. والآن تخلخلت الأسس الأمر الذي أصبح مبعث حزن غامر لكل نفسر تقية في الأمة.

أُخذ تابوت الله إلى أشدود، وكانت إحدى أكبر خمس مدن في أرض الفلسطينيين وهى أشدود وغزة وأشقلون وجت وعقرون. ولكل مدينة وما حولها كان يوجد حاكم يدبر أمورها. وكانت كلها متحدة كأمة واحدة.

أدخل الفلسطينيون تابوت الله إلى داجون وأقاموه بقرب داجون. وكلمة «داجون» مشتقة من داج وهى كلمة عبرية معناها سمكة. وكان التمثال له رأس إنسان، ويد إنسان وجسم سمكة. وعبادة هذا التمثال مذكورة في قضاة ١٦: ٢٣ ويبدو أنه كان أعظم آلهة الفلسطينيين. وإقامة التابوت بقرب داجون علامة انتصار داجون على إله إسرائيل حسب زعمهم.

وسقط الصنم على وجهه إلى الأرض أمام تابوت الرب علامة خضوعه. ولما سقط أول مرة ظنوا أنه على سبيل الصدفة، ولكن حين سقط مرة ثانية ورأسه ويداه مقطوعة على العتبة عرفوا يقيناً أن ذلك من إله التابوت. وقطع الرأس إشارة إلى عدم الحكمة لأن الرأس مركز العقل، وقطع اليدين إشارة إلى عدم الاقتدار لأن اليدين هما وسيلة العمل. ووجود الرأس واليدين على العتبة علامة الانحطاط والاحتقار لأن العتبة مكان الدوس بالرجلين. وهكذا صار بدن السمكة فقط بلا رأس أي بلا عقل، وبلا يدين أي بلا اقتدار، وهكذا جميع الأصنام.

«فثقلت يد الرب على الأشدوديين وأخربهم وضربهم بالبواسير في أشدود وتخومها»(ع ٦). وتشير يد الرب إلى قوته. أظهر الرب

قوته أولاً على الصنم ثم على عبادته. وكلمة «بواسير» تحمل أيضًا معنى الدمامل. ويقول البعض أن الكلمة تشير إلى مرض الطاعون وهذا يوافق ما قيل في عدد ١١ «لأن اضطراب الموت كان في كل المدينة»، وما جاء في ص ٦: ٤ «خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب» يرينا أن الضربة لم تكن قاصرة على البواسير بل كانت أيضًا الفيران التي ضربت محصولهم.

أراد الله بذلك أن يعلمهم أن التابوت ليس وثنًا آخر يوضع في هيكل وثنهم. وكان جديرًا بهم أن يتعلموا الدرس الذي يشير إليه الرسول بولس في رومية ١: ١-٢٣ «بينما هم يزعمون أنهم حكماء صاروا جهلاء وأبدلوا مجد الله الذي لا يفنى بشبه صورة الإنسان الذي يفنى والطيور والدواب والزحافات..» ولكن هذا هو الإنسان!

لم يكن الفلسطينيون على استعداد للخضوع تحت يد الله التي ثقلت عليهم وأرسلوا التابوت من مكان إلى آخر. أرسلوه أولاً إلى جت وضرب الرب أهل المدينة من الصغير إلى الكبير ونفرت لهم البواسير.

وأرسله أهل جت إلى مدينة عقرون، وتبعد حوالي ٢٥ كيلو مترًا شمال جت، وعرف أهل عقرون أن أناسًا كثيرين قد صاروا إلى الموت بسبب وجود التابوت، ولذلك رفض أهل عقرون قبول التابوت، وجمعوا كل أقطاب الفلسطينيين ليرسلوا التابوت مرة أخرى إلى إسرائيل (ص ٥: ٦-١٢).

وحينما كان يرسل التابوت كانت يد الرب تنزل بضرباتها، وهذا رمز لما سيرسله الرب من ضربات على هذا العالم بعد اختطاف

الكنيسة، ومع ذلك لن يكون هناك تحول نحو الله. وسوف تنزل هذه الضربات كما جاء في سفر الرؤيا على المسيحية الاسمية المرتـــدة. ولا نجد وقتئذ كلمة واحدة عـــن التوبـــة بـــل التجـــديف علـــى الله (رؤ ١٢: ١١). هكذا كان الأمر مع الفلسطينيين الذين لم يخضـــعوا ليد الرب.

الأصحاح السادس

ظل تابوت الله في بلاد الفلسطينيين سبعة أشهر. وبسبب الضربات التي حلت بهم فكروا في إرسال التابوت إلى بيتشمس. وهى قرية إسرائيلية قريبة منهم. فدعا الفلسطينيون الكهنة والعرافين الذين ادعوا أنهم قادرون على معرفة الأمور المستقبلة عن طريق استدعاء أرواح الأموات أو بواسطة النجوم وإلقاء القرعة. أما الكهنة فأشاروا بكيفية نقل التابوت باستخدام عجلة واحدة جديدة تجرها بقرتان مرضعتان لم يعلهما نير مع حفظ ولديهما عنهما إلى البيت. فإن صعد التابوت في طريق تخمه إلى بيتشمس فإن هذا يعتبر دليلاً أن ضرباتهم كانت من الرب. واقترحوا أيضًا أن يرسل مع التابوت قربان إثم. وفى هذا اعتراف منهم أنهم أخطأوا بأخذهم التابوت وينبغي التعويض عن الضرر الناتج عن عملهم، وإذا ارتفع المرض بعد إرسال التابوت يعلمون أن الضربات كانت من الرب.

وكان قربان الإثم خمسة بواسير من ذهب. ورقم خمسة رقم أقطاب الفلسطينيين ورقم مدنهم الهامة. وكانت البواسير هي المرض الذي أصابهم، وخمسة فيران من ذهب، وهي الضربة التي أصابتهم بانتشار الفيران في حقولهم وإتلافها لمحصولهم. وذلك لأنه من عادة

الوثنيين تقديم تمثال للجزء المصاب بمرض. وبتنفيذهم هذا الاقتراح يعطون إله إسرائيل مجدًا بطلبهم الغفران منه.

وقال الكهنة للفلسطينيين «لماذا تغلظون قلوبكم كما غلّظ المصريون وفرعون قلوبهم أليس على ما فعل بهم أطلقوهم فذهبوا» وهذا ما حدث في خروج ٨: ١٥. لقد ذكر الكهنة ما حدث من نحو ٣٥٠ سنة، وهذا دليل على أن تلك الحوادث التي حدثت في مصر كانت مشهورة ومعروفة في تلك الممالك حيث ضرب الرب المصريين بعشر ضربات فأطلقوا شعبه.

نفذ الفلسطينيون اقتراح الكهنة بأن وضعوا تابوت الرب على عَجلة جديدة تجرها بقرتان مرضعتان لم يعلهما نير؛ الأمر الذي يرينا تقديرهم للتابوت، وحبسوا ولديهما في البيت لأن ميل البقرة هو إلى العودة إلى ولدها، فكان قول الكهنة إنه إذا اتجهت البقرتان مباشرة إلى بيتشمس ولم ترجعا إلى ولديهما فإن في هذا دليلاً على أن الضربات كانت من الرب.

استقامت البقرتان في طريق تخم أرض إسرائيل، وكان اتجاههما إلى بيتشمس وهى مدينة للكهنة (يش ١٢: ١٩). وكانت هذه المدينة على تخم يهوذا إلى الجنوب الشرقي من عقرون وعلى بُعد حوالي عشرين كيلومترًا منها.

استقامت البقرتان إلى بيتشمس وكانتا تجأران - أي تصيحان - من أجل ولديهما وابتعادهما عن البيت الذي كان فيه ولداهما، وهذا دليل على أنهما كانتا مسوقتين من الله.

وكان أهل بيتشمس يحصدون حصاد الحنطة، وفرحوا عندما رأوا التابوت وأتت العجلة إلى حقل يهوشع البيتشمسى ووقفت هناك. وكان هناك حجر كبير جعله الكهنة في بيتشمس مذبحًا وشققوا خشب العجلة وأصعدوا البقرتين محرقة للرب. وأصعد أهل بيتشمس أيضًا ذبائح أخرى للرب. ومع أن أهل بيتشمس فرحوا برؤية التابوت ولكن يُقال هنا إنهم «نظروا إلى تابوت الرب» وضربهم الرب ضربة عظيمة وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً . وكلمة «نظروا» ترينا أنهم رفعوا غطاء التابوت ونظروا إلى داخله. وكانت هذه خطية عظيمة إذ لم يحترموه الاحترام الواجب له لأن التابوت كان في الخيمة ولم يكن يدخل إليه سوى رئيس الكهنة مرة واحدة في السنة وبالدم على يديه. وعند ارتحال المحلة كان هرون وبنوه ينزلون حجاب السجف ويغطون به التابوت، ويأتي بعد ذلك بنو قهات للحمل فقط. ولم يكن ليمسوه. وأمات الرب عُزّة لأنه سند التابوت حين كان يحمل على العجلة التي عملها له داود، وكان ذلك مخالفًا للناموس إذ كان يجب أن يحمل على أكتاف اللاويين أي يعامل بكل احترام وهيبة.

وحين ضرب الله أهل بيتشمس طلبوا إبعاده بدلاً من أن يعترفوا بخطئهم، وطلبوا إصعاد التابوت إلى قرية يعاريم لأنها قريبة منهم وكانت على تخم يهوذا.

الأصحاح السابع

أصعد أهل قرية يعاريم تابوت الرب ولم يخافوا منه، وإن كان قد ضرب الفلسطينيون وأهل بيتشمس بسببه فذلك لأنهم قصدوا إصعاده بدون الاحترام اللائق به، أما أهل قرية يعاريم فقد كان لديهم الاحترام اللائق بالتابوت، وآمنوا أن وجوده سوف يكون سبب بركة لهم، ووضعوا التابوت في الأكمة في بيت أبيناداب. ولعلهم قصدوا أن يضعوه في مكان مرتفع احترامًا له. وظل التابوت في قرية يعاريم عشرين سنة، وهي محسوبة من يوم وصول التابوت عندهم إلى يوم الاجتماع في المصفاة. لكن التابوت ظل في قرية يعاريم بعد ذلك إلى أن أصعده داود (٢صم ٦: ١-٤).

والأصحاح السابع من سفر صموئيل الأول يرينا المكانة الفذة التي كان يشغلها صموئيل بالنسبة لشعب الله، وهي تُقاس بالنهضة الروحية والخلاص القومي الموصوف في هذا الأصحاح. إذ بوجود التابوت في قرية يعاريم أخذ الشعب يحس شيئًا فشيئًا بالكارثة التي حلت بهم وكيف أن روابطهم بالله قد أصابتها الفوضى. وناح كل بيت إسرائيل وراء الرب (ع ١) وهو أمر مبهج وذلك بعد أن أحسوا باحتياجهم لله، أحسوا بمسافة بينهم وبينه تعالى.

كانت العشرون سنة المشار إليها هنا هي فترة العمل الإلهي الذي انتهى برجوع كامل إلى الرب الذي أصبح الآن مطلبهم وليس مجرد الرمز، إذ لا يُشار مطلقًا إلى التابوت في إجراءات يوم المصفاة. كان إسرائيل وقتئذ يسمو روحيًا على جماهير المسيحية الاسمية في اعتمادها على مجرد العناصر المادية للفرائض المسيحية إن لم نقل على الصور والتماثيل وغيرها من الجهالات.

كان الرب قد أنقذ تابوته من يد الفلسطينيين لكنه لم يكن قد أنقذ شعبه بعد، وقد حان الوقت لذلك الأمر. ونلاحظ المفارقة المحزنة بين هذا الموقف وبين يوم يشوع إذ استطاعوا يومئذ أن يتقدموا غالبين ونكي يغلبوا. ولم يكن الأعداء أقوى منهم. أما هنا فإن أقصى ما كانت ترنو إليه قلوبهم هو أن يتقدموا حتى يطرحوا نير واحد. هو نير الفلسطينيين وهو شعب واحد من الشعوب الكثيرة المحيطة بهم.

والآن نسمع صوت صموئيل «إن كنتم بكل قلوبكم راجعين إلى الرب فانزعوا الآلهة الغريبة والعشتاروث من وسطكم وأعدوا قلوبكم للرب واعبدوه وحده فينقذكم من يد الفلسطينيين» ونلاحظ القول «بكل قلوبكم» و «أعدوا قلوبكم» وكذلك نلاحظ كلمة «وحده» «اعبدوه وحده»، لأن الله لا يمكن أن يقبل شيئًا آخر معه في عبادتنا له. ينبغي أن يخرج كل شيء من القلب حيث يستطيع الرب أن يرى كل ما في زواياه بعينيه اللتين تخرقان أستار الظلام.

ولنتوقف هنا قليلاً لنسأل أنفسنا هل عواطفنا كلها بتمامها لله؟ هل نعبده وحد؟ لنذكر جواب سيدنا المبارك للمجرب في البرية «مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (مت ٤: ١٠) نعم وحده. هل للعالم مكان عندنا؟ وأيضًا الذات هل لها مكان لدينا؟ هل شاهدنا

القضاء على الكل في موت المسيح؟ لقد استطاع بولس أن يقول في غيرة مقدسة «أفعل شيئًا واحدًا».

إن إسرائيل لم يفز بالخلاص حتى نزعوا البعليم والعشتاروث. ومعنى كلمة «بعل» سيد. وكان البعل إله الفلسطينيين والكنعانيين الأعظم وسجدوا له في صورة الشمس لأنها أعظم ما في الطبيعة واستعملوا في العبادة تماثيل من خشب أو حجر عليها صور الشمس. ومعنى كلمة «عشتاروث» قرينة أي زوجة البعل. وسجد لها الفلسطينيون في صورة القمر أو كوكب الزهرة. وأقاموا لها سواري أي تماثيل من خشب، «وعشتاروث» هو لفظ الجمع لكي يعظموها. وكان بنو إسرائيل عرضة لخطية السجود لهذه الأصنام من زمان إقامتهم في البرية إلى زمان السبي. وحيث أن هذه الآلهة كانت آلهة الفلسطينيين فكان نزعها علامة رفضهم لسلطان الفلسطينيين عليهم. واقتضى عملهم إعداد قلوبهم للرب والاتكال عليه في حمايته لهم.

استدعى صموئيل الأمة إلى المصفاة. وإذا كنا نريد أن نعرف معنى كلمة «المصفاة» لنرجع إلى أول ذكر لها في الكتاب في تكوين ٣١: ٤٩ «والمصفاة لأنه قال (أي لابان ليعقوب) ليراقب الرب بيني وبينك حينما نتوارى بعضنا عن بعض». ومن هذا نفهم أن كلمة المصفاة تعنى برج المراقبة. وكان قصد صموئيل من استدعائهم إلى المصفاة أن يصلي لأجلهم إلى الرب. وهكذا نجد إنسانًا مستقيمًا مع الله طوال سنوات انحراف إسرائيل المؤسف. لم يسمح لنفسه أن يجرفه التيار السائد. من هنا كان مُهيأ لخدمة الشعب يوم حان الوقت. وهذا يدعونا في وقت الخراب السائد أن يكون كل منا «إناء للكرامة مقدسًا نافعًا للسيد مستعدًا لكل عمل «صالح» (٢تى ٢: ١١).

كانت إجراءات يوم المصفاة عجيبة إذ اجتمعوا هناك واستقوا ماء وسكبوه أمام الرب وصاموا في ذلك اليوم وقالوا هناك قد أخطأنا إلى الرب أي اعترفوا بضعفهم لأن الماء المسكوب يرينا الضعف المطلق، ولأنه مسكوب فلا فائدة منه بعد سكبه. وهذا الرمز استخدمته المرأة التقوعية في محاجتها مع داود «ونكون كالماء المهراق على الأرض الذي لا يجمع أيضًا» (٢صم ١٤: ١٤). أدرك إسرائيل ما هو ملائم أدبيًا لظروف الحال. ومثل هذا الاعتراف بالضعف لن يفشل في استجلاب البركة من الله. وفى المجال الروحي نتعلم أن الإحساس بالضعف قوة كما جاء في ٢كورنثوس ١٢: ١٠ «لأني حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى». وكما قالت حنة «الضعفاء تمنطقوا بالبأس» (١صم ٢: ٤). وحين يتجه الضعف إلى الله لكي يستدعيه عندئذ تكون هناك القوة.

وصموئيل عند المصفاة يذكرنا بصورة عجيبة بذاك الذي هو الكل في الكل لنا بوصفه نبيًا وعظ الشعب، وبوصفه كاهنًا قدم من أجلهم ذبائح، وقضى كما لو كان ملكًا. هو بكل يقين رجل الله.

حجر المعونة:

عندما يبدأ الرب في أن يعمل عملاً وسط الشعب يتحفز الشيطان ليعمل عملاً مضادًا. والنهضة الروحية تثير عداوته القاتلة. فلا شيء يبغضه أكثر من أن يرى الشعب يصلح أموره مع إلهه ويأخذ المكان الذي يستطيع أن يباركهم فيه. وخطة الشيطان التي لا يستطيع أن يغيرها هي أن يسعى أولاً لكي ينقض أعمال الله. وإذ يتضح له

أن عمله فاشل فهو يعمل ثانية على إفساد عمل الله. وقد استخدم هذا الأسلوب مع شعب الله القديم ومع الكنيسة.

«وسمع الفلسطينيون أن بنى إسرائيل قد اجتمعوا في المصفاة فصعد أقطاب الفلسطينيين إلى إسرائيل» وهنا نرى جيش العدو في طريقه يستحثه الشيطان الذي كان أكثر منهم إدراكًا لدلالة الأحداث الواقعة في محلة إسرائيل «فلما سمع بنو إسرائيل خافوا من الفلسطينيين» وهنا نلمح تغيرًا مغبوطًا عما وجدناه في مطلع الأصحاح الرابع حيث أثاروا معركة مع العدو وهم في حالة عدم الوعي بظروفهم السيئة. بل إن كلامهم أدعى لغبطة أكثر وهم يواجهون الخطر. فبعد هزيمتهم الأولى في يوم عالي قالوا «لنأخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا ويخلصنا من يد أعدائنا» (١صم ٤: ٣). أما الآن فيلتمسون من صموئيل «لا تكف عن الصراخ من أجلنا إلى الرب إلهنا فيخلصنا من يد الفلسطينيين» هنا فارق عظيم بين ضميري الغائب في الحالتين: فيما يتعلق بالتابوت: «فيخلصنا» في الحالة الأولى، ثم في الحالة الثانية فيما يتعلق بالرب «يخلصنا». وفضلاً عن ذلك فإنهم يقولون الآن «الرب إلهنا» إذن فقد استردوا إحساسهم بعلاقتهم بالرب. والويل للعدو إن حاول أن يزعج قومًا ألقوا بأنفسهم على الله! فهوذا يهوشافاط المُصلى قد كفل النصرة على الموآبيين وحلفائهم! نصرة أكثر مما كان يحصلها جنود مسلحون يقاومون المليون ومستخدمون الأساليب العسكرية المألوفة. وكان حزقيا أكثر خطورة على الأشوري وهو لابس المسوح منه وهو مسلح بدرع النحاس فقد أصابت العدو المتكبر كارثة رهيبة (إش ٣٧).

وبالمثل كان اعتماد إسرائيل الحقيقي على الله عند المصفاة سببًا في خلاص إلهي عجيب. وفى هذه الحالة تصدق الكلمة الواردة في سفر إشعياء والخاصة بيوم البركة الألفي «قبلما يدعون أنا أجيب وفيما هم يتكلمون بعد أنا أسمع» (إش ٦٥: ٢٤).

أصبح صموئيل الآن الوسيط بين الرب وشعبه «فأخذ صموئيل حملاً رضيعًا وأصعده محرقة بتمامه للرب». وصرخ صموئيل إلى الرب من أجل شعبه. كان سكبهم للماء اعترافًا بإحساسهم بضعفهم المطلق. وكان صومهم إحساسًا وشعورًا بمذلتهم لأن الصوم يشير إلى أن الشخص الصائم لا يستحق أن يأكل. وها هو الحَمل الرضيع يحدث يهوه عن المسيح الآتي الذي به وفيه يخلص الناس ويتباركون. وهذه هي المرة الوحيدة التي يُذكر فيها أمر تقديم حمل رضيع كذبيحة للرب. وهو يرمز إلى المسيح كمن كان مطيعًا لله مكرسًا له منذ حداثته مقدمًا نفسه رائحة طيبة لحساب الناس العصاة المتمردين.

تقدم الفلسطينيون لمحاربة إسرائيل بينما كان صموئيل يُصعد المحرقة فأرعد الرب عليهم بصوت عظيم فأزعجهم فانكسروا أمام إسرائيل. وفي الموضع ذاته الذي لقي فيه إسرائيل الهزيمة وضياع التابوت انتصروا هذا الانتصار العظيم عند حجر المعونة. وعندئذ قالوا «إلى هنا أعاننا الرب». ونحن نستطيع أن نقول ذلك عند كل نقطة نصل إليها سالمين، وبالإيمان نتكلم هكذا عن المستقبل قائلين إن الله سوف يعيننا. وأقام صموئيل حجر المعونة بين المصفاة والسن. المصفاة تشير إلى رقابتنا على أنفسنا، والسن تشير إلى ضرورة قطع كل ما لا يتوافق مع الله في سلوكنا.

لم يعد الفلسطينيون سبب مشقة لإسرائيل، واستردوا المدن التي سبق أن أخذوها منهم. وهكذا عضدت شفاعة صموئيل شعب الرب، وهكذا نرى قيمة رجل الصلاة.

«وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته. وكان يذهب من سنة إلى سنة ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة ويقضي لإسرائيل في جميع هذه المواضع. وكان رجوعه إلى الرامة لأن بيته هناك. وهناك قضى لإسرائيل وبنى هناك مذبحًا للرب» (ع ١٥-١٧).

من هذه الأعداد يتجلى أمامنا كسوف مطلق للنظام القديم الذي كان سائدًا في إسرائيل. لقد كانت الخيمة في الأرض. ولا ريب في أن بعض من أعقبوا عالي مارسوا فيها الوظائف الكهنوتية، ومع ذلك فإن الأعداد المذكورة عاليه تتجاهلها تمامًا.

كان صموئيل يعيش في الرامة التي معناها مرتفعات. فهناك فوق العالم المضطرب من تحته بنى صموئيل مذبحًا للرب حيث يتمتع بالشركة المقدسة مع الرب كما لو كان يسترجع ظروف حياة الآباء (تك ١٢: ٧ ؛ ٢٦: ٢٥) ومن الرامة كان صموئيل يخرج من وقت إلى آخر معلمًا وقاضيًا بين شعب الله عاملاً على وضع الأمور في مكانها الصحيح على قدر ما كانت تسنح له الفرصة.

لقد امتازت حياة صموئيل بالشجاعة. وهي خدمة يؤكد قدرها ما جاء في مزمور ٩٩: ٢٥ «موسى وهرون بين كهنته وصموئيل بين الذين يدعون اسمه. دعوا الرب وهو استجاب لهم». وطالما أشار الوحي إلى قوة شفاعته قبل أن يطرد الشعب من الأرض «ثم قال

الرب لي وإن وقف موسى وصموئيل أمامي لا تكون نفسي نحو هذا الشعب. اطرحهم من أمامي فيخرجوا» (إر ١٥: ١).

يتحدث سفر الأعمال (٣: ٢٤) عن صموئيل بوصفه طليعة سلسلة لأنبياء في إسرائيل. ومع أنه لا توجد بين الأنبياء خلافة مرتبة كما هو الحال مع الملوك والكهنوت فإن التاريخ لم يخل من الأنبياء من زمان صموئيل فصاعدًا، وحيث كان شر الشعب يزداد فإن الله كان يجد لنفسه دائمًا رجل الله الذي عن طريقه يخاطب الضمائر. وهذا نراه بوضوح في ٢ملوك ١٩: ٢ ؛ ٢٢: ١٢-١٤ ففي القرينة الأولى يرسل حزقيا اثنين مع قواده من شيوخ الكهنة وكلهم لابسون مسوحًا لكي يحدثوا إشعياء بكلمات الأشوري التجديفية. ونلاحظ جيدًا هذا الأمر مع أن شيوخ الكهنة كانوا يكونون الجانب الأكبر من الوفد فإنهم لم يتجهوا إلى رئيس كهنة ذلك اليوم، بل إلى واحد بعيد كل البعد عن نظامهم، وهو إشعياء ابن آموص. أما في القرينة الثانية فإن الملك يوشيا وقد انزعج بسبب محتويات سفر الشريعة الذي وجدوه في الهيكل بعث برئيس الكهنة نفسه ليسأل امرأة هي خلدة النبية.

كل هذا يرينا أن الرسميات ليس لها قيمة عند الله بل التقوى، وليس من خلال الرؤساء الدينيين يسر الله أن يكلم قلوب وضمائر شعبه بل بواسطة أناس يشعرون بالضعف في أنفسهم، ويسلكون قدامه ويرتعدون من كلامه ويحاولون معرفة مشيئته.

الأصحاح الثامن

لا شك أنه أمر محزن أن نكتشف فشلاً في رجل الله صموئيل، خاصة ونحن نذكر الدرس الخطير الذي رآه في عالي وبنيه، ولكن أين لا نجد فشلاً في البشر المساكين؟ لقد وجد الله في المسيح وحده ما أبهج وأشبع قلبه، وجد فيه كل ما كان يجب أن يكون عليه آدم ونوح وموسى وهرون وداود، وما لم يجده الله منهم سوف يتحقق فيه آخر المطاف.

فلما بدأ صموئيل يحس بثقل سني حياته. جعل بنيه قضاة لإسرائيل وهذا خبر موجز خلا من أية إشارة لكلمة من الرب أو من أية إشارة لصلاة من جانب النبي. ولكن هكذا كان الإنسان الذي كان مشهورًا في يومه بصلاته المقتدرة، ولكن لماذا عيَّن بنيه وهو كان يعرف أنه لا توجد خلافة للقضاء؟ إن موسى لم يفعل هكذا، إذ حين أحس بأن دور خدمته شارف على النهاية قال «ليوكل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة يخرج أمامهم ويدخل أمامهم ويخرجهم ويدخلهم لكيلا تكون جماعة الرب كالغنم التي لا راعي لها» (عد ٢٧: ١٦، ١٧) وكان ذلك شيًا جميلاً نرى من خلاله كيف كان موسى راعيًا صادقًا مخلصًا حقيقيًا على أنه لم يجسر أن يقيم أو

يعين أحدًا، كلا، ولا اقترح إدخال ولديه في ميدان الخدمة، وفي الواقع نراه يسلم باختيار الرب ليشرع. ولكن لماذا تسللت فكرة الخلافة العائلية لصموئيل؟ ألم تتجل نعمة الله وسلطانه المطلق أمامه حين أخذت الخلافة الكهنوتية تنهار؟ إن سفر الأعمال يطالعنا بسمو الحرية الإلهية في عهدنا، لقد وقع اختيار الجماعة في أورشليم على أستفانوس وفيلبس للعناية بالأرامل. وكذلك وقع اختيار الروح القدس على برنابا شاول من وسط مجموعة الأنبياء والمعلمين في أنطاكية ليذهبا ويكرزا للعالم الأممي، وفجأة أُدخل أبلوس في المشهد من جميع العاملين، كان هذا هو سبيل الروح القدس. ولكن ما أضعف إدراك المسيحية الاسمية لهذا السبيل! ذلك أن النظام الخلافي طالما كان ولا يزال المبدأ الكنسي المقرر، الأمر الذي سبب ضررًا لقديسي الله وأعاق عمل الله.

كانت إقامة صموئيل لبنيه في مركز القضاء بحسن نية، كانت رغبته أن يقدم للشعب خدمة بعد أن فقد القدرة على خدمتهم فيما بعد. ولكن أليس في علم الله إحصاء عمر عبده؟ ألم يكن قادرًا على العناية بشعبه؟ لنذكر أن الشعب لله وليس لصموئيل، فهل نحس بالقلق بشأن مستقبل الذين نعمل بينهم؟ هل لنا مطلق الحرية في أن نرتب أمورهم طبقًا لأفكارنا؟ هلم بنا نتعلم درس عثرة صموئيل. فلا يجب أن تتطاول الأيدي البشرية لمساندة التابوت. فالله قادر بالتمام على الاهتمام بأمور شعبه بنفسه. والعجيب أن الرجل الذي تكلم عن شيخوخته عاش بعد ذلك ما يقرب من خمسين سنة فقد عمر حتى رأى

بنيه يتممون دورهم ويطويهم الغموض، عاش حتى رأى شاول ينهض ويسقط، عاش حتى مَسح داود ملكًا بدلاً من شاول، بل رأى داود وعدوه يطارده. هذه حقائق لزام علينا أن نشدد في الإشارة إليها. صحيح أن خطية الشعب في المطالبة بملك واضحة. لكن لا ننسى أن غلطة رجل الله كان لها نصيب في تلك المطالبة. فلو مضى صموئيل في خدمته بهدوء، خادمًا الشعب بالقوة التي يُسر الله أن يمنحه إياها لا كانت قصة شاول بكل آثارها القاتلة. وذاك الذي حفظ موسى شديدًا قويًا حتى بلغ مائة وعشرين سنة ولم تذهب نضارته كان في إمكانه أن يقوى صموئيل إلى أن يأتي الله لإقامة النظام الجديد. كان في فكر الله أن يعطى إسرائيل ملكًا، وكان في مقدور صموئيل أن يظل على خدمة الشعب حتى يتهيأ داود لأخذ الكرسي. ليتنا نواصل خدمتنا بقدر ما يعيننا الله ولنترك مستقبل عمله. إن رأس المجد الكنيسة لا يزال على العرش في الأعالي. ومن يده ومن قلبه لا تزال المواهب تُعطى لقديسيه على الأرض متى تنتهي الحاجة إليها.

ومن المؤلم أن نتعلم أن ابني صموئيل لم يسلكا في طريقه بل مالا وراء الكسب وآخذا رشوة وعوّجا القضاء، إن الإنسان ليعجب حقًا كيف أن ابني رجل تقي كهذا بارز في خدمته يتمنى ومعمل جاهدًا أن تكون عائلته شهادة صادقة وحقيقية لله، فهل من الجائز أن يكون تجواله دائرًا من سنة إلى أخرى هو علة هزيمته؟

ولكن في سفر أخبار الأيام الأول نتطلع إلى ما بعد هذا المنظر المؤسف إلى المستقبل إلى الملك والمجد. «وهؤلاء هم الذين أقامهم

داود على يد الغناء في بيت الرب بعدما استقر التابوت.. فقاموا على خدمتهم حسب ترتيبهم وهؤلاء هم القائمون مع بنيهم من بنى القهاتيين هيمان المغني ابن يوئيل بن صموئيل بن ألقانة بن يروحام» (أخ ٦: ٣١-٣٤) نعم إن هيمان المغنى ذلك الاسم المميز وقائد الغناء في بيت الرب هو حفيد صموئيل. ونقرأ عن هيمان وإخوته في ١أخ ٢٥ كيف أن داود أفرزهم لتلك الخدمة المجيدة لأجل الحمد والتسبيح للرب «آساف وهيمان ويدوثون المتنبئين بالعيدان والرباب والصنوج..» (ع١-٣) ثم يعود ويذكر أحفاد صموئيل «جميع هؤلاء بنو هيمان رائي الملك بكلام الله لرفع القرن. ورزق الرب هيمان أربعة عشر ابنًا وثلاث بنات. كل هؤلاء تحت يد أبيهم لأجل غناء بيت الرب» (ع ٥-٧) وكان أحفاد صموئيل يشكلون ١٩٢ فردًا من مجموع عائلة الغناء لبيت الرب المكونة من ٢٨٨ فردًا.

تقدم شيوخ إسرائيل إلى صموئيل في الرامة وقالوا له «هوذا أنت قد شخت وابناك لم يسيرا في طريقك فالآن أجعل لنا ملكًا يقضى لنا كسائر الشعوب»، وكان تصرف رجل الله في هذه اللحظة مفرحًا، لم يبد كلمة امتعاض إزاء الاتهامات الموجهة إلى ابنيه، ولا حاول أن يبذل أي جهد لهدم النظام الذي أقامه خطأ بل «صلى صموئيل إلى الرب» ولو أنه كان قد صلى قبل أن يجعل بنيه قضاة لتغير كل شيء. ليتنا نعتمد على الله في كل شيء بالصلاة.

ولا ريب أن يد الشيطان واضحة وراء مطالبة إسرائيل بملك، وبوجه خاص في إصرارهم على هذا الطلب حتى بعد أن تكشفت لهم

خطورته. ذلك أن المقاوم العنيد لا يزال أبدًا يعمل على مقاومة الله بقصد الشر، فليعمل الشيطان إذًا ليقدم ملكًا، وبالطريقة ذاتها سوف يقوم ومن الأرض بعد اختطاف الكنيسة ملك وذلك قبيل أن يأتي ملك الملوك ورب الأرباب في الوقت المعين من الله، ولكن مهما تكن طاقة الاحتمال فإن الله لابد أن ينفذ طريقه آخر الأمر ويتمم أغراض محبته لمجده وبركة الناس إلى النهاية. وكم هي راحة للقلب إذا ما وثقنا من هذا.

ولا شك أن الشعب قد أخطأ بطلبهم ملكًا لأن الرب كان ملكهم غير المنظور، وبطلبهم ملكًا يكونون قد رفضوا الرب.

وكانت هناك ثلاثة أسباب وراء طلب الملك:

١. أن صموئيل كان قد شاخ وتقدم في الأيام وأن ابنيه لم يسلكا في طريقه.

٢. الرغبة أن يكون الشعب مثل سائر الشعوب.

٣. أن يكون لهم قائد يحارب هروبهم (ع ٢٠).

وكان على الملك أن يملك في حدود ما يشير به النبي أو الكاهن أي في اعتماد على الله لأن النبي والكاهن لابد أن تتفق مشورتهما مع الشريعة. وحين صلى صموئيل للرب قال له الرب «إنهم لم يرفضوك أنت بل إياي رفضوا حتى لا أملك عليهم» أي أن الخادم ينبغي أن يكون متوافقًا مع سيده وهذا يتفق مع ما قاله ربنا يسوع المسيح «إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم»» (يو ١٥: ٢٠)، وقال الرب لصموئيل «اسمع لصوتهم وملك عليهم ملكًا» (ع ٢٢).

وكان الملك المُعطي لهم متوافقًا تمامًا مع رغبتهم، أعطاهم شهوة قلوبهم وأرسل هزالاً في أنفسهم.

وإقامة الملك كانت أمرًا متوقعًا، كما جاء في تثنية ١٧: ١٤-٢٠ وكان غرض الله النهائي يتطلع إلى الملك الآتي ربنا يسوع المسيح له كل المجد.

الأصحاح التاسع

«وكان رجل من بنيامين اسمه قيس بـن أبيئيـل بـن صـرور بـن بكـورة بن أفيح ابـن رجـل بنيـاميني جبـار بـأس. وكـان لـه ابـن اسـمه شـاول...» (٩: ١-٢).

ولأن شاول، الملك الأول، يصور لنا الإنسان الأول الذي رفضـه الله فيمكننا تفسير الأسماء هنا في هذا الاتجاه، «شاول» معناه سؤال، وكان كل ما فيه بحسب ما يسأله أو يطلبه الشعب. كل ما فيه حسن أي شكله حسن وأطول من كل الشعب، وهو رجل بنياميني أي ابـن يدي اليمين. تبدو القوة ظاهرة فيه، ابن «قيس» والكلمة معناها قوس، أي هو الرجل القوى الذي يمسك بالقوس، ابن «أبيئيل» أي أن الله هو أبى وهو الذي يعطيني القوة، ابن «صرور» التي معناهـا صـرة أو مغلق وتشير إلى الدائرة الضيقة في الخليقة العتيقـة التـي يحصـر الإنسان نفسه فيها وهى المحصورة بين الولادة الإنسـانية والمـوت والتي فيها ما يتعلق بالأمور الزمنية الوقتية، أما «بكورة» أي البكر، والابن البكر يفقد دائمًا بكوريته مثل إسـماعيل وعيسـو ورأوبـين ومنسى، الأول دائمًا من الطبيعة ثم يأتي الروحي، و «أفيح»، معناها مجاهد الذي يجاهد في الأمور الأرضية الفانية.

وفى هذه الدائرة كم هو متاح للذات أن تظهر ومع ذلك فقد كان لشاول صفات جذابة للنظر، أظهر تواضعًا وحكمة في البداءة ولكن سرعان ما تدهور، كان يعجب الإنسان الطبيعي وبحسب الظاهر لم يكن فيه ما يلوم. لكن حين تذهب الفقاقيع لا يبقى منها شيء. عند الامتحان لم يوجد فيه شيء ثمين لله.

ها الآن على المسرح يظهر رجل اختيار الشعب، الرجل الذي تمثلت فيه أذواقهم الجسدية وعجيب أن يطالعنا في المشهد أيضًا قطيع من الأتن، في مفارقة عجيبة مع رجل اختيار الرب الذي كان موكولاً إليه رعاية الغنم (مز ٧٨: ٧٠-٧٢)، لقد وُجدت أتن أبيه الضالة، وليس شاول هو الذي وجدها، أما داود من الجهة الأخرى خاطر بحياته ليسترد شاة من فم أعتى أعدائها الأسد والدب.

دروس حافلة بالمعاني فالأتان رمز للجسد المشاغب لأن الرجل الفارغ يتمنى أن يكون حكيمًا ولو أنه «كجحش الفرا يولد الإنسان» (أي ١١: ١٢). كما أن فاتح الرحم في إسرائيل كانت فديته شاة أسوة بفدية بكر الحمار (خر ١٣). أما الغنم والحملان فهي على الضد من ذلك، يشبه بها شعب الله وهكذا نرى أن شاول لم يكن له القلب أو الأهلية لرعاية هذا الشعب، وحتى لو صلح كرئيس لجيش فإنه لا يصلح راعيًا.

نشأ شاول في بنيامين السبط المعروف بعناده في الشر وكنتيجة لهذا كان أصغر أسباط إسرائيل ولقد أعطى شاول للشعب كجواب على مطلبهم الجسداني وعليه فهو يمثل الجسد، لكن هل شخص كهذا كفؤ لأن يلجم فورة الشر في شعب ثائر؟ إن الجسد لا يمكن أن يقهر جسده، غير أن إرادة الجسد الشرسة تكسرها قوة الروح القدس.

يبدو على شاول أنه لم يسمع عن صموئيل ولا عن طرق الله العجيبة بشأنه، وهذا يذكرنا ببيلشاصر الذي كان وثنيًا وفي لحظة معينـــه أبـــدى جهله بوجود دانيال رغم أن أباه نبوخذ نصر كان له معه اختبار عجيب، مع هذا الفارق أن شاول كان من شعب له صلة بالرب وهـــذا يرينـــا أن الجسد في كل أحواله لا يعنى بأمور الله ولا بالأداة التي يستخدمها. قـــد يسمع عنها الجسد بصورة باهتة، ولكن دون أثر لها في القلب.

ولما كانت الصعوبة تواجه شاول لم يطرأ على باله أبدًا أن يســـأل الله، ويبهجنا أن إلهنا يعني بأصغر أمورنا كما بأكبرها. فإن الإيمان الحقيقي اليوم. لا يظنه شيئًا تافهًا إن أضاع أتنـــه بحيـــث لا يكـــون موضع الملاحظة الإلهية. وإلا أفلسنا مدعوين أن نعلم طلباتنا لله في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر؟ على أن شاول كان محظوظًـــا بغلام ذكى أخبره بوجود رجل الله في المدينة التي كانا مقبلين عليهـــا فاقترح استشارته بشأن الرحلة. لكن شاول كان أمام مشكلة. أفـــلا يلزم لصموئيل مقابل لخدماته ؟ «هوذا نذهب فماذا نقدم للرجل. لأن الخبز قد نفذ من أوعيتنا وليس من هدية نقـــدمها لرجـــل الله. مـــاذا معنا؟» كانت مواردهما تكاد تنفذ لأنهما كانا بعيدين عن البيت بعض الوقت، لكن عاد الغلام وأجاب شاول «هوذا يوجد بيدي ربع شـــاقل فضة فأعطيه لرجل الله فيخبرنا عن طريقنا» إنه من الصعب علـــى الجسد المسكين أن يرتفع عن مستوى فكر الأجر. فالنعمـــة غريبـــة على ذهنه. إنه لا يتصور الله كمن يعطي. على أنه بهـــذه الصـــفة المباركة يعرفه جميع من هم موضوع رضاه وإحسانه. لقد بذل ابنه

الوحيد ومعه يهبنا أيضًا كل شيء. ومن ذات النعمة السخية أتت إلينا عطية الروح القدس. والحياة الأبدية «مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ» (أع ٢٠: ٣٥).

ولو كانت لشاول أقل فكرة عن عظمة الله، وعن الكرامة الأدبية للرجل الذي كان يمثل الله، ربما رأى أنه من الأوفق أن يعمل على غرضه بصفة إحسان من أن يحاول شراء المعلومات التي تعوزه مقابل «ربع شاقل فضة» لكن الجسد لا يشعر باللياقة الأدبية فيما يتصل به كما لا يشعر بالنعمة! إن مسلك شاول وغلامه يوحي بأن واحدًا منهما لم يكن لديه الإحساس بأنه يتعامل مع الله، وأن أمرهما معه. وتلك لم تكن فاتحة خير لشخص يوشك أن يكون ملكًا.

ونرى شاول في خمسة أماكن.

١. «جبل أفرايم» وتعني الثمر الذي يبحث عنه الله فينا.

٢. «شليشة» وتعني المنقسم إلى ثلاثة - يبحث الله في الإنسان المنقسم إلى ثلاثة روح ونفس وجسد.

٣. «شعليم» وتعني أودية عميقة. يريد الله منا ثمرًا فائضًا يملأ الأودية العميقة.

٤. «بنيامين» وتعنى ابن يدي اليمين. وحين نعترف أن الثمر من الله فحينئذ يتنازل إلينا الله بالقوة لأنه حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى.

٥. «صوف» وأخيرًا وصل شاول إلى أرض صوف التي تعنى قرص الشهد، أي يكون ثمرنا في مذاق الله كقرص الشهد.

لم يكن في شاول الذي اقتيد بيد الله إلى صموئيل شيء من هــذا. وهنا نجد كلمتين تشيران إلى صموئيل «النبي» و «الرائي» لكن مــا الفرق بينهما؟ إن المعرفة تتوفر في النبي يستمدها مــن الله ويــتكلم بأقواله. أما الرائي فهو يعرف المعرفة التي يعرفها النبــي، وكــان اهتمام الناس بالمعرفة ليس بالنبي ولذلك كانوا يتكلمون عن صموئيل كالرائي، وهكذا كان شاول الذي لم يكن يطلب الله ممثلاً فــي النبــي ولكن المعرفة التي يعرفها الرائي لمعرفة ما خفي عنه.

وتقابل شاول وصموئيل للمرة الأولى، ولكن قبل ذلك كانت هناك مقابلة بين شاول والخادم مــن ناحيــة وبعــض الفتيــات الــذاهبات لاستحضار الماء من الناحية الأخرى، وأشــارت الفتيــات عليهمــا بالذهاب إلى المرتفعة حيث كانت تقدم ذبيحة السلامة.

وكان الرب قد تكلم في أذن صموئيل عن شاول في اليوم السابق. تكلم معه عنه كالرجل الذي من بنيامين، ولــذلك احــتفظ صــموئيل بالكتف من ذبيحة السلامة ليعطيه لشاول وكان الله بذلك يظهر المحبة نحو شاول وأنه على استعداد أن يعمل معه ليخلص الشعب.

وأخبر صموئيل شاول أن الأتن قد وجدت وقال له أيضًا أن كــل شيء في إسرائيل أصبح من نصيبه واعترف شاول بتفاهته إذ قال أن عشيرته أصغر كل عشائر أسباط بنيامين وأن السبط الذي ينتسب إليه هو الأصغر في إسرائيل، وكان سبط بنيامين قد تعرض للفناء والإبادة في أيام القضاة (قض٢٠: ٤٦)، وكانت أقواله مصدرها الدهشة وليس الحكم على الذات.

نرى بعد ذلك أن صموئيل وشاول في شركة حيث أخذه صموئيل للجلوس على مائدة ذبيحة السلامة حيث يتعلم شيئًا من الأمور التي يجب على الملك أن يتعلمها وهى أن ذبيحة السلامة هي المكان الذي يجلس فيه الله والإنسان في شركة حيث يستحضر الإنسان إلى محبة الله، وهى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالمحرقة ولكنها تختلف عنها لا سيما في الجزء المتاح أكله، وهى ذبيحة شكر (لا ٧: ١١-١٧) وهى تقدم على المذبح على المحرقة وبذلك لا يمكن فصلها عن المسيح كالمحرقة (لا٣: ٤، ٥) حيث نجد شريعتها أيضًا ونجد فيها النتائج المباركة التي للمؤمن بموت المسيح إذ يرش الدم على المذبح الذي هو للكفارة ويوجد هناك وقتئذ التسبيحات والتشكرات الأمر المقترن بأكل الصدر والساق، كما نجد هناك أهمية شحم الذبيحة الذي يشير إلى رغبة المسيح وحرصه على إتمام إرادة الله حتى الموت. وهذا هو ما يسمى طعام يهوه حيث يجد سروره. وهناك نجد المنظر السعيد المشتمل على الكهنة ومقدم الذبيحة وأصدقائه وهم يشتركون فيما يسر الله بفرح.

والساق الذي أعطى لشاول من ذبيحة السلامة كرمز يتحدث عن قوة المسيح التي يستطيع الإيمان أن يستند إليها ويتغذى بها، ويا له من درس لنفس شاول لو أنه استطاع أن يقرأه، وكان بولس في حقيقة هذا الدرس يوم قال «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣) كانت أمام شاول فيما بعد مسئوليات ضخمة موضوعة على كاهله. وكان يعوزه أكثر من مجرد القوة البشرية لكي يقوم بها على الوجه الصحيح لمجد الله وبركة شعبه، على أنه ما من إنسان يطلب مساندة النعمة الإلهية ما لم يتعلم أولاً خواره وعدم نفعه وعجزه. أما شاول التعس فلم يصل في أية لحظة إلى هذه الحالة.

الأصحاح العاشر

عند طلوع الفجر دعا صموئيل شاول عن السطح وقال له «قف الآن فأسمعك كلام الله» وها نحن نرى أن صوت الله يفتتح يومًا جديدًا لإسرائيل، ولكن هل هو يوم أفضل؟ كان الرب قد قال لصموئيل في يوم سابق «فامسحه رئيسًا لشعبي إسرائيل فيخلص شعبي من يد الفلسطينيين لأني نظرت إلى شعبي لأن صراخهم قد جاء إليّ» وهنا تتجلى شفقة وحنان قلب الله، فمهما يكن ضلال شعبه، ومهما تكن مقابلتهم لصلاحه الكثير، فهو إنما يطلب بركتهم، ونحن نذكر ما قاله إسرائيل «اجعل لنا ملكًا يقضي لنا» بينما يقول الرب «امسحه رئيسًا.. فيُخلِّص شعبي».

مسح صموئيل شاول، وتلك المسحة المقدسة التي كانت تستخدم كانت تشير إلى المسيا العظيم الممسوح الملك ورئيس الكهنة العظيم ورسول اعترافنا الذي مُسح بزيت الروح، ليس بكيل محدود لكن مسحته فاقت كل الكهنة والملوك في العهد القديم.

مسح صموئيل شاول وقبله أولى قبلات الوفاء ثم أرسله في مهمة ذات طابع تعليمي شبيهة بمهمة إيليا يوم إصعاده، وأخبره بأنه سوف يلاقى «آيات» فهل كان قادرًا على قراءتها والإفادة منها؟ مرة قال

الرب لتلاميذه «طوبى لعيونكم لأنها تبصر ولآذانكم لأنها تسمع» ذلك لأن المجموعة التي كانت تحيط بهم كانت غليظة القلب، ثقيلة السمع، عيونهم مغمضة، وقال مرة أخرى له المجد «من له أذنـان للسـمع فليسمع» فهل عيوننا وآذاننا يا ترى مفتوحة اليوم روحيًا؟ هل تستطيع أن تدخل إلى فكر الرب وهكذا نسلك بفطنة في عالم مظلم؟

ويومذاك أخبر صموئيل شاول بمن هو عتيد أن يقابله وبما سوف يقع في صلصح وتابور... الخ. ذلك درس ملائم وله قيمته، كـان أمام الملك الجديد، وليته تعلم. ونحن نذكر أن أمرنا مع إله لا يخفى عنه شيء، وليس عنده أمس ولا غد. وإذ نحفظ هذه المعرفة ترتـاح أفئدتنا إذ نتحقق أنه مهما تكن ظروف الحياة التي نحياها من حيـث الحيرة والدهشة فإنها لن تكون محيرة لنا.

فعند صلصح وبجوار قبر راحيل، كان شاول عتيدًا أن يصـادف رجلين يقولان له «قد وجدت الأتن التي ذهبت تفتش عليهـا وهـوذا أبوك قد ترك أمر الأتن. واهتم بكما قائلا ماذا أصنع لابني؟» فهوذا الرجل الذي يتعب عبثًا يعلم أن كل شيء قد تم بدونه وأن أباه يحـن إليه، هذا كله في الموضع الذي يتحدث عن الموت والقيامـة. فلمـا كانت راحيل تحتضر دعت ابنها «ابن أوني» أي ابن حزني إذ رأت جانب الموت بينما دعاه يعقوب «بنيامين» أي ابن يدي اليمين متحدثًا بذلك عن الحياة والقوة، وعلى من يرى أن يخدم الله خدمة صحيحة أن يدع أولاً هذه الدروس تتغلغل في نفسه فإن أعمالنا أشر مـن العقـم. يدعوها الله «أعمالاً ميتة» لكن موت المسيح وقيامته فيهما كل الكفاية

لمواجهة أعمق أعوازنا! وقلب أبينا يحن إلى كل هالك كما يؤكد لنا لوقا ١٥، وتلك هي مبادئ المسيحية الأساسية العظيمة التي ترينا أن الأب يجذبنا إلى ابنه على أساس موت المسيح وقيامته وليس لأعمالنا دخل في ذلك على الإطلاق.

وكان تخم بنيامين في «صلصح» ومعنى الاسم ظل البهاء حيث يصبح بهاء العالم مجرد ظل أو خيال في الصليب وينطبق القول «وأما من جهتي فحاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صلب العالم لي وأنا للعالم» (غل ٦: ١٤).

نأتي الآن إلى العلاقة الثانية والتي تأتى في وقتها المناسب وهى ترينا أن الذي يكون في دوائر الشركة ويعتمد على الله في مساعدته لابد أن يتلقى المساعدة، ونجد هنا ثلاثة رجال بدلاً من اثنين وهم يمثلون الأقانيم الثلاثة وهم عاملون في توصيل المساعدة إلينا، ونرى هؤلاء الرجال الثلاثة صاعدين إلى بيت إيل. بيت الله حيث يعلن صوت الله، وأن الله ليس إله يعقوب فقط بل إله بيت إيل أيضًا، وهناك يدركون فكره، وهناك عند بلوطة تابور التي يعنى اسمها القوة الحية التي تظهر قصد الله حيث ينال الإنسان معرفة، قد يكون هناك المجتمعون قليلين ولكنهم يمثلون الشركة مع الله، وعطايا هؤلاء الرجال إنما تشير إلى المعونة. ثلاثة جداء. جدي لكل رجل ذبيحة خطية وتشير إلى المسيح الذي مات على الصليب كفارة لخطايانا، أما الخبز فيشير إلى المسيح موضوع شبع الله وشبعنا نحن أيضًا حين نتغذى بشخصه كالإنسان الكامل، وزق خمر الذي ينبغي أن يسكب

أمام الله والذي يرمز إلى المسيح الذي سكب نفسه لفرح الله وسروره وليس لسرور الله فقط بل مصدر سرورنا نحن وفرحنا.

والذين يجتمعون اثنان كانا أو ثلاثة وقصدهم الشبع من خيرات الله يجب أن يثقوا من أنهم سيشبعون. فنحن نتقاسم خيرات الله وإذ نتمسك بالرأس فمنه «كل الجسد مركبًا معًا ومقترنًا بمؤازرة كل مفصل حسب عمل على قياس كل جزء يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة» (أف ٤: ١٦، ١٧).

واصل شاول طريقه فوجد نفسه أمام أخطر أعداء إسرائيل «بعد ذلك تأتى إلى جبعة الله حيث أنصاب الفلسطينيين» فقد عسكر العدو على «جبعة الله»، على تل الله، ونحن بدورنا لابد أن نلتقي بقوة العدو وحركاته ليس في الخارج فقط بل في وسط الذين يعترفون أنهم مسيحيون. غير أن شاول كان سيصادف فريقًا من الأنبياء نازلين من المرتفعة، ونلاحظ أنه وجد اثنين عند صلصح وثلاثة عند تابور والآن زمرة معهم آلات موسيقية. «رباب ودف وناي وعود» عجيب هذا! موسيقى وترنيم والعدو أمامنا! ولم لا؟ صحيح أن قوة العدو خطيرة، ولكنها لا تزعجنا. وكان الأنبياء يتنبأون، ولما صادفهم شاول حل عليه روح الرب فتنبأ معهم وهذا كان حركة مضادة لإبليس، كانت هناك قوة الروح القدس، ويوحنا يذكرنا بهذا حينما كان يحذرنا من الأنبياء الكذبة والأرواح الشريرة إذ قال «الذي فيكم أعظم من الذي في العالم» (ايو ٤: ٤) فالنصرة إذن في جانب الله وخاصته، لكن لزام علينا في الوقت نفسه أن نسلك معتمدين بتواضع على سكنى

الروح القدس، وبهذا وحده نستطيع أن نرنم وسط المخـــاطر، وبهـــذا وحده حفظنا وصيانتنا.

والدرس الذي كان أمام شاول هو «الله معك» (ع ٧) أي ملك يـــا ترى استمتع بمثل هذا الاستهلال لحياته، بالروح القدس ليس بوصفه ساكنًا فيه بل حالاً عليه. كان في عونه لو أنه قدر ذلك، ولكـــن مـــا أشقى الجسد وما أبرز عجزه!. ولذلك فكل المعلنات الإلهية لا تفيـــد بل «ينبغي أن تولدوا من فوق».

وحلول روح الله على شاول كما كان أيضًا في حالـــة القضـــاة لا يجب أن ينظر إليه على أنه سكنى الروح القدس بما له من تـــأثيرات مباركة على النحو الذي يحدث مع المؤمنين في تدبير النعمة إذ يجعل منهم هيكلاً مقدسًا، لأن الروح القدس عطية الآب والابن، ولقد أعطى فقط للكنيسة بعد قيامة الرب المبارك.

انتهت رحلة شاول عند الجلجال، المكان الذي حل فيـــه إســـرائيل لأول مرة، يوم استخدم يشوع سكاكين الصوان الحادة للختان، هذا هو درس إماتة الذات، ولا يستطيع أن يخدم الله من لم يتعلم هذا الـــدرس الأولى العظيم سواء كان شاول أو غيره. فلنقرأ جيـــدًا كولوســـي ٣ بروح الصلاة ولنسأل أنفسنا بتواضع في حضرة الله. إلـــى أي حـــد دربنا نفوسنا على تنفيذ تعليماته وارشاداته الخطيرة.

لقد حل روح الله على شاول، وعند حلول روح الله عليه تحول إلى رجل آخر وتنبأ وابتدأ يشغل المكان الذي أراده الله فيه لبركة شـــعبه وعندئذ كان ينبغي أن يعمل بكل ما هو متاح له بيده.

دعا صموئيل باجتماع للشعب في المصفاة حيث كان يجب أن تلقى القرعة لكي يعرف الجميع عندما تقع القرعة على شاول الرجل الذي اختاره الرب لهم «القرعة تلقى في الحضن ومن الرب كل حكمها» (أم ١٦: ٣٣)، ونحن مؤمنى تدبير النعمة لا نستخدم القرعة في معرفة مشيئة الله بل كلمة الله المكتوب عنها «سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى». كما أنه يسكن فينا الروح القدس الذي يقود قلوبنا إلى الراحة على التصرف طبقًا لمشيئة الله.

لكن قبل القاء القرعة عاد صموئيل وذكّرهم بكلام الرب وبفداحة خطيتهم إذ طلبوا لأنفسهم ملكًا غير الرب. وإن لم يستجيبوا لهذا التحذير من قبل فعليهم الآن أن يقبلوا ما سبق أن طلبوه بإرادتهم.

ووقعت القرعة على شاول، ولكنهم لم يجدوه لأنه كان قد اختبأ. ولكن لماذا اختبأ؟ ربما كان ذلك تواضعًا منه أو خوفًا من المسئولية التي كانت عتيدة أن تلقى عليه. وكان تصرفه هذا يعني عدم الثقة في الله الذي كان على استعداد أن يعمل به. وكان ذلك مقدمة تدل على الفشل الذي سيصيب هذا الملك الذي اختاره الشعب. وربما كان ذلك رياء الجسد، فهو يختبئ في الوقت الذي يجب أن يظهر فيه ويظهر حينما يجب أن يختفى عن النظر تمامًا، وهذا نراه بصورة محزنة في اثنين من القديسين اللامعين في تاريخ الكتاب المقدس! موسى في العهد القديم وبطرس في العهد الجديد، فالأول تسرع يوم قتل المصرى وأخفاه في الرمل بينما أبطأ وأحجم وأبدى رفضه حين دعاه

الله للدخول إلى فرعون ليطلب منه أن يطلق شعبه، وكـذلك أظهـر بطرس نفسه شجاعًا وهو في البستان متنطقًا بسيفه غير أنه كان خائفًا مرتعدًا وهو في وسط الخدام في دار رئيس الكهنة فالجسد لن يوثـق فيه في أي ظرف للقيام بأي شيء متقن لله، ومن مميزات المسـيحي أنه لا يتكل على الجسد (في ٧: ٧). ولما وجد شاول أخيرًا ووقـف بين الشعب كان أطول من كل الشعب من كتفه فما فوق، وهذا كـان موضع إعجاب الفكر الجسدي ومن ثم دوى الهتاف «ليحي الملـك» وتحضرنا الذاكرة ببنياميني آخر ومن عجب أنه يحمل اسم أول ملوك إسرائيل وكان شهيرًا بين رفاقه. استمع إلى أقواله «إن ظـن واحـد آخر أن يتكل على الجسد فأنا بالأولى من جهة الختان مختـون فـي اليوم الثامن من جنس إسرائيل من سبط بنيامين» (في ٣) بل أكثر من هذا «كنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي» (غل ١: ١٤) ولكـن منظـرًا واحدًا للمسيح أظهر له تفاهة كل شيء واقتنع بأن يضع كرامته فـي التراب. وإذ تعلم أن لا شيء يجدي أمام الله سوى المسيح، من تلـك اللحظة لم يكن سوى المسيح معتمده.

«فكلم صموئيل الشعب بقضاء المملكة وكتبه في السفر ووضـعه أمام الرب. ثم أطلق صموئيل جميع الشعب كل واحد إلى بيته» فقـد أصبح السفر، هو السجل الدائم، نافعًا في الواقع لمـا تجلـت خيانـة الشعب لمركزهم الجديد. وعلى القياس نفسه حفظ الله اليوم سفره الذي يسجل فيه كل ما يتصل بنا والذي سيفتح أمامنا عند كرسي المسيح.

بدأ شاول بداية حسنة، لم يعمل على إظهار ذاته بل مضى إلى بيته وإلى حقله وقليل من الجماعة التي مَس الله قلبها ذهبوا معه، صحيح أن جانبًا من بنى بليعال تكلموا عنه باحتقار «أما هو فكان كأصم» أي لم يبال بهم. وهكذا نجد الناس ينقسمون تبعًا لموقفهم من الفادي المخلص، فيوجد بقية قد خضعت له وستظل تتبعه حيثما يمضى، وهؤلاء قد مس الله قلبهم، لكن هناك آخرون قد تحولوا عنه واحتقروه الذين مصيرهم الهلاك. أما صموئيل فمن المحقق أنه مضى إلى بيته ليصلى. فقد يتصايح الشعب ويتهلل فرحًا غير أنه أحس في قلبه بالخطورة والحزن! ذلك أن مركزًا خطيرًا قد نشأ! كان إسرائيل من الغباوة حيث لم يدرك خطورة طلبه ملكًا.

الأصحاح الحادي عشر

كان "ناحاش" ملك العمونيين من نسل بن عمى بن لوط من ابنته الصغرى (تك ١٩: ٣٨) وكان العمونيون يسكنون في الناحية الشرقية من الأردن. وصعد ناحاش العموني على يابيش جلعاد، وسبق أن ضربهم يفتاح الجلعادي ضربة عظيمة (قض ١١). أخذت غزوة ناحاش هذه مكانها قبل أن يصبح شاول ملكًا، ومن أصحاح ١٢: ١٢ نعرف أن بنى إسرائيل طلبوا ملكًا لما رأوا ناحاش العموني آتيًا عليهم، والاسم ناحاش يختلف عن الاسم نحشون أحد رؤساء إسرائيل في البرية، وتعنى كلمة «نحشون» إلهي أو وحى ولكن تعنى كلمة «ناحاش» هنا حية أو عرافة أو سحر، وكانت كلمات العمونيين هي التعبير عن التعاليم الضالة لأن المتكلم بها هو الشيطان. ويدين الحق التعاليم الضالة لأنها السم الذي يقتل الناس. وهى تقترن بنور كاذب يستحضره الشيطان لكي يعمى أذهان غير المؤمنين.

لم تكن غزوة ناحاش على الجزء الأقوى في إسرائيل بل على الأضعف لأن يابيش جلعاد، وهى مدينة كانت قريبة من نهر الأردن على الجانب الشرقي منه، خلت من المحاربين بسبب الحرب بين بنيامين وكل إسرائيل، وكانت يابيش قد استعادت في ذلك الوقت بعض

قوتها ولكن كان إيمانهم ضعيفًا. وكلمة يابيش تعني جفاف حيث لا يوجد إظهار للحق وتبعًا لذلك الانحدار في النفس وعندئذ تكون الضلالات أكثر تأثيرًا.

وحين هددهم ناحاش لم تكن الأسباط الأخرى على استعداد لمساعدة يابيش جلعاد ولذلك كان عليهم أن يخضعوا لناحاش، ولكنهم أرسلوا لشاول بما يتضمنه تهديد ناحاش لهم بتقوير كل عين يمنى لهم واستعبادهم له. ويحسب هذا عارًا في إسرائيل. والعين اليمنى رمز للإيمان والعقل وهى الشاهدة في الإنسان حين يكون مستقيمًا مع الله.

اجتمع الشعب في بازق تحت التهديد والخوف وأرسلوا يخبرون شاول. ولا نقرأ عن صلاة شاول أو طلبه محضر الرب، ومع ذلك حل روح الرب عليه ولذلك حصل شاول على القوة، والغضب الذي أظهره كان الطريقة التي أراد بها إثارة الشعب.

جمع شاول الشعب في بازق وهى مدينة صغيرة على الجانب الغربي من الأردن وتبعد حوالي ١٦ كيلو مترًا من يابيش. ونلاحظ الفرق بين جدعون وشاول فجدعون كان حزينًا بسبب مذلة إسرائيل ولما حل عليه روح الرب ضرب بالبوق حسب شريعة الله (عد ١٠) وأما شاول فعمل حسب إحاسيسه البشرية وأخذ فدان بقر وقطعه وأرسل أمرًا مشددًا أن يجتمعوا إليه. ورأى الشعب فيه في ذلك الوقت أنه رجل شجاع وقائد حكيم؛ لأنه قسم جيشه الكبير إلى ثلاث فرق وهاجم العمونيين في الظلام وضربهم.

لقد واتت الفرصة شاول لإبراز نفسه يوم أحاطت المخاطر بأهـل يابيش جلعاد وهنا يحضرنا عدد ٣٢ والطلب الغريب الـذي التمسه السبطان والنصف من موسى. ولم يكن الشعب قد عبر الأردن بعـد وكان هذان السبطان يلتمسان لهما نصيبًا حيث هم مقيمون حيث كانت أرض يعزير وأرض جلعاد في أعينهم أرض ماشـية طيبـة أي أن رخاءهم المادي وليس مجد الله هو الباعث الذي سيطر عليهم في ذلك الطلب. وحزن موسى حزنًا ثقيلاً لأنه هو شخصيًا كان يتوق أن يعبر ويشارك في الميراث الجيد الذي كان يطلبه لشعبه إله كـريم. ومـع ذلك فقد أجاب السبطين والنصف إلى ما طلبوه.

إن الأردن رمز مألوف للموت. لا موتنا الطبيعي كمـا يحسـب البعض أو موت الجسد بل موت المسيح في تطبيقه اختباريًـا علينـا ونحن في الجسد، وهكذا يقول الرسول في كولوسي ٢: ٢٠ «متم مع المسيح» وفى كولوسي ٣: ١ «قمتم مع المسيح» فهل قبلنا هذا المركز فعلاً؟ إن كنا قد قبلناه فنحن الآن عبر الأردن، تحقـق اتحادنـا مـع المسيح في السماويات ونعرف بعضًا من قول الرسول فـي أفسـس ١: ٣ «مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي باركنـا بكـل بركـة روحية في السماويات في المسيح».

على أنها حقيقة مؤلمة أن شعب الله في كل العصور يرغب في أن يساكن ما هو دون دعوة الله أي أقل مما تعنيه تلك الـدعوة. فهـوذا رأوبين وجاد ونصف سبط منسى يرغبون في أن يسـتوطنوا أرض جلعاد. وهكذا نرى كثيرًا من قديسي الله الحقيقيين يقنعون بتبعيـتهم

لترتيب بشرى. ولو أنهم في ذات الوقت يعترفون بأنهم مدينون للرب يسوع ودمه الثمين في خلاصهم من الهلاك الأبدي.

لكن الحياة على الجانب الشرقي من الأردن أمر خطير ولقد طالما اختبر السبطان والنصف هذه الخطورة. إذ هم في أوقات حرجة كانوا أول من واجه هجوم الغزاة وكانوا أول من أسرهم ملك أشور (٢ مل ١٥: ٢٩).

إن مجاورة العالم حافلة بالخطر لنفوسنا ذلك أنها تعرضنا للغزو من غير داع، ولن نكون آمنين إلا إذا أخذنا مكاننا بعيدًا عن هذه الدائرة كأموات بالنسبة لها، وأن نهتم فعلاً بما هو فوق أي بالمسيح كهدفنا الوحيد فإننا نكون في أمان من خداع العالم وإغراءات إبليس. أما المركز الذي تحيطه الشبهات فإنه يعرضنا متى قبلناه مرة إلى المتاعب من كل جانب.

لقد كان ناحاش العموني يضمر احتقارًا عميقًا لشعب الله، وحينما اقترح تقوير عين أهل يابيش جلعاد اليمنى فقد استمهلهم سبعة أيام لعلهم يجدون خلالها معونة. كان واضحًا أنه اعتبر الأمة كلها عاجزة. وإلى هذا الحد أوصل عدم الأمانة شعب الرب حيث انحطوا في أعين جيرانهم. وما أبرك أن نقرأ هذه المقارنة المدونة عن الكنيسة في بكور تاريخها «وأما الآخرون فلم يكن أحد منهم يجسر أن يلتصق بهم لكن كان الشعب يعظمهم» (أع ٥: ١٣) وهى نتيجة ترجع إلى حضور الله وقوته عاملاً بين قديسيه.

على أن الله رحيم دائمًا مهما تكن الأوجاع التي نجلبها على أنفسنا بغباوتنا فقد استخدم شاول للخلاص. ياالصلاح إلهنا بالرغم من شـــر وتردد شعبه، لن ينساهم في ساعة الحاجة.

لقد تصرف شاول حسنًا في ساعة الانتصار. إذ حين اقترح الشعب على صموئيل أن الذين قالوا «هل شاول يملك علينا» يجب أن يقتلوا، أجاب الملك في صفحه «لا يقتل أحد في هذا اليوم لأنه في هذا اليوم صنع الرب خلاصًا في إسرائيل» في الأصحاح العاشر أظهر الصبر على جانب من بنى بليعال وفى أصحاح ١١ أبدى الصفح واعتـــرف بفضل الرب في الخلاص العظيم الذي حصلته الأمة. تلك بداية طيبة لملك اختيار إسرائيل، ولكن آه من الجسد! من يثق به فإنه بعد وقـــت ليس بطويل تجلى شره وامتد الخراب والفشل إلى المملكة الجديدة.

دعا صموئيل الشعب أن يذهبوا معه إلى الجلجال وهناك يجددون المملكة وذهب كل الشعب إلى الجلجال فبعد أن انتصر شاول علـــى العمونيين إذا بالذين كانوا يحتقرونه بالأمس يكرمونه اليوم وهكذا فإن المخلص المحتقر اليوم سيعترف به الجميع ربًا ومسيحًا. إنه اليـــوم وهو على كرسي الرحمة يقبل رجوع الشاردين لكنه بعد قليل ومـــن فوق كرسي القضاء سيدين كل الذين أصروا على رفضه.

ثم ذبحوا هناك ذبائح سلامة أمام الرب «وفرح هناك شاول وجميع رجال إسرائيل جدًا» لقد كان الجلجال هو موضع أول معسكر للشعب يوم دخلوا الأرض بقيادة يشوع، وإليه طالما عادوا وترددوا في أيامه، وهناك استخدمت سكاكين الختان الحادة رمزًا للتطبيق العملي للموت

على كل حركة من حركات الجسد. لذلك كان من المناسب أن يلجأ إسرائيل إلى ذلك الوضع بعد نصرتهم العظيمة على العمونيين. ولو أن شاول والشعب استطاعوا أن يدخلوا في دلالة ذلك الوضع الروحية وسلكوا بموجب ذلك أمام الله لتغير وجه تاريخهم التالي تغيرًا عظيمًا؟

وبينما كان شاول وكل الشعب فرحين جدًا فإننا لا نقرأ شيئًا عن فرح صموئيل فقد كان رجل الله ينظر بعمق نظرة نافذة إلى ما هو تحت هذه الأفراح السطحية. لقد كان يعلم أن الرب الذي رفضوه من أن يملك عليهم لا يمكن أن يسر بهذه المظاهر الخارجية.

الأصحاح الثاني عشر

نرى الآن رجل الله صموئيل، رجل الصلاة، متقدمًا في السنين وواقفًا أمام الشعب ويقول «أنا قد سرت أمامكم منذ صباي إلى هذا اليوم» وهنا لا نرى نذيرًا فاشلاً مثل شمشون ولكن رجلاً قد أكمل أيام انتذاره بكل ما في الكلمة من معنى، وهو في ذلك كان رمزًا لذلك الخادم العظيم الذي جاء في ملء الزمان لا ليُخدَم بل ليَخدِم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين، وشهادة صموئيل عن كماله تذكرنا بكلمات الرسول بولس في ٢كورنثوس ١١: ٦، ٩ ؛١٢: ١٤-١٧.

يقف الآن صموئيل أمام الشعب فرحًا بخلاص الشعب، ويستخدم ذلك ليؤثر فيهم ويعرفهم بحقيقة خطيتهم التي كانت عتيدة أن تؤدى بهم إلى الخراب وهى طلبهم ملكًا بدلاً من الرب، وكادت النصرة عتيدة أن تعمى عيونهم أكثر، وأصبحت رحمة الرب لهم فرصة لابتعادهم أكثر عن الرب.

قصد صموئيل أن يعرفهم بحقيقة هذه الخطية وأنه ليس لهم عذر في ذلك لأن ابتعاد أولاد صموئيل عن السير في طريق أبيهم كان فقط يستدعى تصحيحًا لسيرهم وليس استبدال الرب بملك آخر يملك عليهم، كان الخوف من العمونيين هو دافعهم إلى ذلك، لم يكن لديهم ثقة في

الرب، وكان كلام صموئيل فرصة لتحريضهم على الوقوف بجانب يهوه إذ ينبغي أن يتذكروا أعمال يهوه معهم في الماضي التي كانت معروفة لهم جيدًا وهى إخراجهم من مصر واستحضارهم إلى الأرض التي امتلكوها بنصرتهم على شعوب كنعان. ورغمًا عن ذلك فقد عبدوا أوثان المهزومين في الأرض التي كانت عطية يهوه لهم، عملوا ذلك بعد خلاصهم المرة بعد المرة، وكانت خطيتهم التي هي خطية آبائهم أساسها قلب غير خاضع في عدم إيمان.

ولكي يؤكد صموئيل كلامه إليهم طلب علامة من السماء، وكان أمرًا معروفًا في إسرائيل أنهم يجمعون المحصول بدون أمطار، ولكن الآن في وقت الحصاد كان الرب في طريق إظهار غضبه أرسل رعدًا ومطرًا وأحدثت هذه العلامة التي طلبها صموئيل تأثيرها على الشعب إذ أصابهم الرعب وتحت هذا التأثير اعترفوا أنهم مذنبون وتوقعوا أن يموتوا، ولكن صموئيل كلمهم بكلمات تعزية نجد فيها ما يعطى السلام والطمأنينة لشعب الرب «لأنه لا يترك الرب شعبه من أجل اسمه العظيم. لأنه قد شاء الرب أن يجعلكم له شعبًا». لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة. وطلب صموئيل منهم أن يتقوا الرب ويسلكوا في الطاعة، كما أنه قال لهم إذا لم يسلكوا باستقامة أمامه فإنهم سيهلكون وملكهم. وهذا يذكرنا بما سيحدث في الحصاد الأخير ونهاية هذا الدهر (مت ١٣: ٣٩، ٤٢) عندما يرعد الرب بالدينونة فيرجع إسرائيل إلى الله بالتوبة.

أما شاول الذي كان قد ملك وأصبح مقبولاً لدى الشعب فإنه في نضارة انتصاره على ناحاش كان أمامه اختبار يجب أن ينجح فيه وإلا وضع جانبًا. ولم ينجح شاول في ذلك الاختبار إذ لم يكن لديه الإيمان الحقيقي بالله، كان يتصرف تحت تأثير الظروف، كان بطيئًا في الفهم مترددًا حين كان الأمر يستلزم السرعة والحسم، ويندفع حين كان الواجب أن ينتظر. كان تصرفه غير طائع لله، وتبعًا لذلك كان يجب أن يوضع جانبًا.

كان له ثقة في ذاته بعيدًا عن فكر الله إذ كان أول عمل عمله له صفة الحكمة الإنسانية، وهو محاولة استرداد قوة يابيش جلعاد بأن جمع عددًا كبيرًا من الأفراد ليس مسلحًا تسليحًا جيدًا ولم يكن في الإمكان الوثوق بهذا العدد الكبير في حرب طويلة ومستمرة وكان هذا العدد عرضة أن يهاجم من الأعداء وعندئذ تحدث هزيمة مفجعة ولذلك أرسلهم إلى بيوتهم ما عدا ثلاثة آلاف رجل. وكان هذا العدد القليل جديرًا بأن يثير الشك لدى رؤساء إسرائيل. لأنه لم يكن كافيًا لكي يكون نواة لجيش مدرب.

أما وقد تثبت المُلك، فإن قضاء صموئيل قد انتهى، بل إن نهايته كانت في الوقت عينه نهاية لعصر أو حقبة. ولعلنا لا ننسى بولس وهو يخاطب سامعيه في مجمع أنطاكية بيسيدية متتبعًا طرق الله مع إسرائيل، فإنه قال يومئذ «أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي» (أع ١٣: ٢٠) وإذ ذاك اعتزل صموئيل القيادة المتحركة للشعب، فقد استقرت مسئولية القيادة على كاهل الملك، ومن تلك اللحظة أخذ

صموئيل يعمل كمجرد قوة تساند العرش، فيستطيع أن يصلي من أجل الشعب، وفي الواقع هم كانوا يطلبون ذلك، ويستطيع أن يعلمهم بقدر ما تسنح الفرصة «حاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم بل أعلمكم الطريق الصالح المستقيم» (ع ٢٣)، ومثل هذه الخدمة الصامتة يجب عدم التقليل من قدرها في أي زمن. فإن الأشخاص الذين نراهم بارزين في عمل الله وشهادته ليسوا هم الوحيدين الذين لهم قيمة. فإن حتى إخوتنا الذين يقعدهم المرض ممن تعلموا قيمة الشفاعة ولا يستطيعون أن يخدموا إلا في خلوات البيت، هم رأس مال ثمين للكنيسة، ولسوف يعلن يوم المسيح كم من البركة التي اختبرها القديسون علانية وكانت ترجع إلى حد ما لتضرعات وصلوات أولئك الذين لم ير القديسون وجوههم ولم يسمعوا أصواتهم. مثال لذلك أمامنا أبفراس شريك بولس في سجن رومية، وقد كتب بولس في سجن رومية للكولوسيين «يسلم عليكم أبفراس الذي هو منكم عبد للمسيح مجاهدا كل حين لأجلكم بالصلوات لكي تثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله. فإني أشهد فيه أن له غيرة كثيرة ولأجل الذين في لاودكية والذين في هيرابوليس» (كو ٤: ١٢، ١٣).

تكلم صموئيل عن نفسه وعن أسباب دخوله وخروجه بينهم منذ حداثته «هأنذا فاشهدوا عليّ قدام الرب وقدام مسيحه. ثور من أخذت وحمار من أخذت. ومن ظلمت ومن سحقت. ومن يد من أخذت فدية لأغض عيني عنه فأرد لكم» (ع ٣) ولم يسع الشعب إلا أن يجيب «لم تظلمنا ولا سحقتنا ولا أخذت من يد أحد شيئًا».

وقد استطاع بولس يومًا أن يتجه إلى من عرفوه مثل ما فعل صموئيل حيث نرى كلماته الوداعية لشيوخ كنيسة أفسس (أع ٢٠) وكلماته لأولاده الروحيين في تسالونيكي (١تس ٢: ١-١٢) وكلماته لتيموثاوس في آخر رسائله. إن العظات أو كتابة الكتب الروحية لا قيمة لها أكثر مما تضفيه علينا حياتنا العملية. قال سيدنا عن الكتبة والفريسيين في يومه «على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون» (مت ٢٣: ١-٣). ويا لها من أقوال خطيرة! كان التعليم حسنًا ونافعًا، أما المعلمون فلم يكونوا متطابقين مع التعليم. وطوبى لرجل الله صموئيل كان أو بولس أو غيرهما الذي تشارف مدة خدمته على النهاية يقدر أن يلفت أنظار من كانوا يعرفونه إلى أسلوب حياته من البداية حتى النهاية. ويا ليت إلهنا يمنحنا نهاية وخاتمة كلها خير ونفع.

الأصحاح الثالث عشر

لقد أبرأ شاول ذمته إزاء الغزو العموني، لكن الامتحان الحقيقي لقدرته على السلوك أمام الله في مركزه الجديد الرفيع كان في طريقه. وسرعان ما جاء بعد نصرته في يابيش جلعاد.

صرف شاول السنة الأولى في بيته ممارسًا أشغاله الخاصة (ص ١١: ٥) ثم ابتدأ ينظم المملكة نظامًا ملكيًا إذ صرف جيشه الذي كان قوامه ٣٣٠ ألف رجل على أنه بعد ذلك أنشأ جيشًا صغيرًا ثابتًا من ثلاثة آلاف رجل، كان ألفان منها بمثابة حرس خاص له في مخماس وهى قرية تقع على بعد تسعة أميال من أورشليم وإلى الشمال من جبعة. وكانت الألف الثالثة مع يوناثان في جبعة بنيامين. وذلك تنظيم حكيم بلا ريب لكنه بدون إيمان إذ كما قال يوناثان فيما بعد «ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل» والإيمان لا يحتاج إلى حراسة. وهنا يظهر يوناثان للمرة الأولى ومعنى اسمه «الرب أعطى».

كانت بداية الامتحان الحقيقي لشاول حينما برز الفلسطينيون ضد شعب إسرائيل، وكان شاول قد مسح للقضاء على أولئك الأعداء بوجه خاص، ولكنه كان فاشلاً تاعسًا وكانت العاقبة أنهم هم الذين قضوا

عليه. وفى هذا درس خطير لنا فمن الجائز أن نحسن التصرف إزاء بعض التفاصيل ونفشل في بعضها الآخر، وكل منا يعرف في أعماق نفسه نقطة الضعف عنده، فليتنا نتعظ بهزيمة شاول ونجعل حارسًا على كل نافذة أو فتحة قد يدخل منها العدو ويهزمنا.

كان الفلسطينيون أخطر عداءً من العمونيين وغيرهم لأنهم استوطنوا الجانب الغربي من أرض الرب وتملكوا الساحل. ولا يزال اسمهم يدعى على البلاد حتى اليوم وكان عبثًا أن ينتصر شاول على أعداء يبعدون عنه كثيرًا بينما يعجز إزاء الأعداء القريبين. وهكذا نحن أيضًا فإن انتصارنا على بعض الشرور يكون قليل القيمة إذ كنا نتسامح مع مساوئ أعظم تسببنا لإرادتها.

غير أن يوناثان تحرك بباعث من إيمانه وقتل إحدى حاميات العدو مما أثاره، وعندها استدعى شاول الشعب إلى اجتماع متوقعًا أنهم يخرجون كرجل واحد، مثلما فعلوا يوم الهجوم العموني، ومن ثم يفوزون بنتيجة مماثلة. وكان أسلوبه غير عادى إذ قال «ليسمع العبرانيون» ويقول الروح القدس في العدد التالي «فسمع جميع إسرائيل» إن إسرائيل هو تسمية النعمة و«العبرانيون» اصطلاح يذكر حقيقة متصلة بإبراهيم العبراني (تك١٤: ١٣) غير أن أمورًا كثيرة حدثت منذ يوم إبراهيم فبنعمة الله عبر نسله البحر الأحمر ونهر الأردن وصاروا الآن شعب عهد الله في أرض الموعد. غير أنه لم يكن لدى شاول إحساس بحقيقة روابط الشعب بالرب، ويتكلم الأعداء عنهم «كعبرانيين» تحقيرًا لهم (ص ١٣: ١٩ ؛ ١٤: ١١) ويبدو أنه

من الملائم أدبيًا أن يصف الروح القدس جماهير الذين هربوا عبر الأردن بوصف العبرانيين (ص ١٣: ٧) وبهذا الوصف عينه يتحدث عن الخائنين الذين تحالفوا مع العدو (ص ١٤: ٢١) ولكن هل يليق بالملك أن يتكلم هكذا عن شعب الله؟

على أن الأسباط اجتمعوا ولكن بدون إيمان، فإنهم سمعوا أن الأعداء يتحركون ومعهم «ثلاثون ألف مركبة وستة آلاف فارس وشعب كالرمل الذي على شاطئ البحر في الكثرة» فتضايقوا واختبأوا في «المغاير والغياض (الغابات) والصخور والصروح والآبار»، إننا لسنا مهيئين دائمًا لنتائج حركات روح الله. هناك مخاطر لابد من مواجهتها وتعييرات لابد من احتمالها، وأحيانًا يتعثر إيمان قديسي الله في مثل هذه اللحظات. خذ التلاميذ مثلاً. لقد تهيبوا النتائج يوم تحدث الرب بقوة ضد الرياء والزيف فقالوا «أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا» (مت ١٥: ١٢) والعدو ينفر دائمًا حينما يتحرك الله، غير أن الصادق يتقدم لا يخشى عدوًا. ولكن المدهش أنهم يرتعبون في الجلجال! هم وشاول فقدوا الإحساس بدلالة الموقع حين ارتعبوا وهم فيه (ص ١٣: ٧) لقد استخدمت هناك سكاكين الختان وهم يدخلون كنعان للمرة الأولى. فهو الموضع الذي وجد فيه الجسد رمزيًا قضاء ودينونة وحكمًا على الذات. ليس لنا أن نخشى شيئًا إذا كنا نقمع الجسد فينا. فنحن نختبر حضور الله بالقوة حينما ندين الشر ولا نتسامح معه، فيحس الذين على الجانب المقابل أن هناك قوة بين أيدينا. والواقع والحق أن الجلجال هو نقطة ابتداء محققة للنصرة.

نأتي الآن إلى امتحان الملك المسكين. كان صموئيل قد وعد بحضوره خلال سبعة أيام، ولما غربت شمس اليوم السابع ولم يصل النبي فرغ صبر شاول. وما أشقى الجسد فهو دائمًا قلق ولا يثق! تذكر شاول كيف قدم صموئيل محرقة في مناسبة سابقة في الجلجال (ص١٠: ٨) فليفعل كما فعل صموئيل، لكن شاول ليس ملكي صادق، وبذلك أعلن شاول عصيانه وتدخل في أعمال الكهنوت. أين مكان المحرقة في أفكاره حتى يتصرف هكذا؟ إنها في أفكاره لا تزيد عن مجرد تعويذة كما كان التابوت في تقدير الشعب غير المؤمن في يوم حفني وفينحاس. أيها القارئ العزيز إن الله هو المستند الوحيد، فإذا ما سمحنا لمظاهر الطقوس والمراسم الخارجية أن تحتل مكان الله في أفكارنا فإنها تصبح ولا ريب ضررًا بليغًا في أيدينا الجسدية.

ماذا كانت مخاوف شاول؟ نراها في اعتذاراته التي أبداها لصموئيل حين دخل المشهد بعد نهاية تقديم الذبيحة فقال أولاً «لأني رأيت أن الشعب قد تفرق عنى» خشى الوحدة. ولكن ما قيمة أناس بلا إيمان؟ هوذا التحكمونى ينتصر على ثمان مئة (٢صم ٢٣: ٨) وهوذا يوناثان وحامل سلاحه يزعجان جيش الأعداء كله. وهل نحن بدورنا نخشى أن نترك وحدنا في خدمتنا وشهادتنا لله؟ ثم قال شاول ثانيًا «الفلسطينيون مجتمعون في مخماس» يبدو أنه كانت له ثقة في صموئيل، ولكن العماد البشرى لم يكن هناك! غير أن الله كان هناك. فإن الملك المسكين رأى نقص الشعب وقوة العدو وغياب الرجل الذي كان يستند عليه، لكنه لم ير الله. وبطريق المفارقة لنستمع إلى بولس

في ٢تيموثاوس ٤ «في احتجاجي الأول لم يحضر أحد معي بل الجميع تركوني. لا يحسب عليهم. لكن الرب وقف معي وقواني لكي تتم بي الكرازة ويسمع جميع الأمم. فأنقذت من فم الأسد» (ع ١٦، ١٧). لقد استطاع بولس أن يواجه احتمالات المستقبل بقوله «وسينقذني الرب من كل عمل رديء ويخلصني لملكوته السماوي. الذي له المجد إلى دهر الدهور آمين» (ع ٨). يا لها من مفارقة بين رجلين من أمة واحدة وسبط واحد، يحملان التسمية الواحدة.

أحس بولس أن أهم درس تحفظه النفس هو الصبر «إن علامات الرسول منعت بينكم في كل صبر» وبعد الصبر تأتي «بآيات وعجائب وقوات» (٢كو ١٢: ١٣) أي أن للصبر المكانة الأولى في الطليعة «في كل شيء نظهر أنفسنا كخدام الله في صبر كثير» (٢كو ٦: ٤) ويقول يعقوب «أما الصبر فليكن له عمل تام لكي تكونوا تامين وكاملين غير ناقصين في شيء» (يع ١: ٤).

ولم يتضرع شاول إلى وجه الرب وكانت هذه هي خطية شاول كل أيام حياته فكان يتسرع دون أن يطلب الرب أو ينتظر أمامه.

وبرغم ما أحسه شاول من التخلي عنه وعوضًا عن أن يتذلل أمام الرب معترفًا بخطاياه عد الشعب، وكانوا نحو ست مئة رجل. ولقد كان مع جدعون نصف هذا العدد يوم هاجم محلة المديانيين. وكذلك لم تزد فرقة أبطال داود عن أربعمائة ولكن نجد في المكتوب ما أتموه.

لقد ضاعت المملكة الآن ولم يبق أمام صموئيل إلا أن يعلن الحكم الإلهي «قد انحمقت. لم تحفظ وصية الرب إلهك التي أمرك بها لأنه الآن كان الرب قد ثبت مملكتك على إسرائيل إلى الأبد. وأما الآن فمملكتك لا تقوم. قد انتخب الرب لنفسه رجلاً حسب قلبه وأمره الرب أن يترأس على شعبه لأنك لم تحفظ ما أمرك به الرب» ولقد تبررت عدالة هذا الحكم بما أبداه الملك المسكين من عناد في حملته التالية ضد عماليق (ص ١٥). والآن يذهب رجل اختيار الشعب ليفسح مجالاً لآخر.

غير أن واحدًا فقط هو الذي يستطيع الله أن يستأمنه على مكان القوة. وما كان داود إلا رمزًا ضعيفًا لشخصه العزيز، ذاك الذي كان صابرًا وطائعًا خلال سنوات اتضاعه، سيملك بالبر نيابة عن الله في يوم قادم، ويومئذ تكون مشيئة الله كما في السماء كذلك على الأرض «آمين تعال أيها الرب يسوع».

الأصحاح الرابع عشر

لا يحتمل المؤمن أن يرى ذل شعب الله أو أية إهانة تقع عليه. فلم يطق يوناثان صبرًا وبناء على إيمانه القوى في إله إسرائيل عقد النية على محاربة الفلسطينيين. لذلك قال لحامل سلاحه الذي كان في توافق تام معه «تعال نعبر إلى حفظة الفلسطينيين الذين في ذلك العبر». وإن كانت الخطية تدفع شعب الله ليد أعدائهم وتسلمهم للهوان إلا أن حقوق الله لا تمس. هذا هو فكر الإيمان. وحالما ينفرز المؤمن لله عن كل شيء ويقف معه تقوى ثقته وتتقد فيه نار الغيرة لله وينشط لخدمته. فيوناثان لم يستشر لحمًا ولا دمًا ولم يخبر أباه لأن شاول لا إيمان له. ولو استشاره لضعف عزمه وخارت قواه.

لم يكن شاول يعرف شيئًا عن تحركات ابنه وكان في نفس الوقت محاطًا بمجموعة صغيرة عددها ستمائة رجل كانوا تحت الرمانة التي في مغرون. ومعنى اسم مغرون إزاحة الأعداء جانبًا وقلبهم. وكان معهم أخيا بن أخيطوب. ومعنى كلمة أخيا «يهوه أخي» وأخيطوب معناها «أخو الصلاح» وكان معهم أيضًا إيخابود ابن فينحاس بن عالي كاهن الرب في شيلوه. ومعنى إيخابود «أين هو المجد» وكان معهم الأفود لكنهم لم يسألوا الرب.

كان يوناثان يعرف جيدًا أنه لا يسير اثنان معًا إن لم يتواعدا، وأن الإيمان لا يتوافق مع عدم الإيمان. وكان إيمان حامل سلاحه لا يقل عن إيمان يوناثان. والإيمان لا يستخف بالصعوبات لكن عينه على الله. وكان الفلسطينيون متحصنين بين الصخور المسننة لذلك فالقوة الجسدية لم تنفع شيئًا. وكان سن صخرة من جهة الشمال حيث يوجد نصب الفلسطينيين واسمها «بوصيص» ويعنى اسمها «إشراق» حيث ينعكس نور الشمس على سطحها المواجه للشمال، والأخرى اسمها «سنة» في مواجهة إسرائيل في الظل واسمها يعنى «شوكة» وهى علامة اللعنة، وهذا يشير إلى أن إسرائيل كان في ظل دينونة الله إذ كان أعداؤهم في نجاح. لكن بالرغم من كل هذه الصعوبات كان الإيمان عاملاً في قلب مكرس ليثق في الله. فقال يوناثان لحامل سلاحه «تعال نعبر إلى صف هؤلاء الغلف لعل الله يعمل معنا لأنه ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل» (ع ٦) لقد كانت نظرة يوناثان للفلسطينيين أنهم غلف، أعداء شعب الله ولا قوة له بالمقابلة مع الله. وكان رد حامل سلاحه الذي لا يذكر اسمه لكنه معروف عنده وقال ليوناثان «اعمل كل ما بقلبك. تقدم هأنذا معك حسب قلبك» (ع ٧). كان الاثنان في وحدة مباركة، وألقيا بنفسيهما تمامًا على الرب. كان يوناثان عندئذ موضوعًا في يد الرب ويا لها من جرأة بدت منه ومع عجز إسرائيل أن يحدد سيفًا باسم إله الجنود يهوه إله إسرائيل فقد مضى يوناثان في سبيله. وأظهر يوناثان نفسه للفلسطينيين ووقف في مكانه (ع٩، ١٠) وكان مستعدًا أن يعمل كما يأمره الله، إما يقف حتى يأتوا إليه أو يطرح نفسه في وسط محلتهم،

وبعد ذلك تعلم من افتخار الأعداء وهزئهم حين عيروا الإسرائيليين فكان كلامهم علامة ليوناثان أن الرب قد دفعهم ليد إسرائيل. وبقوة إيمانه تقدم متسلقًا الصخور راكعًا على يديه ورجليه ونرى في ذلك رمزًا للتغلب على الصعوبات بالركوع للصلاة وكان حامل سلاحه يتبعه. فطفق يوناثان يعمل بالقوة المعطاة له من الرب وتحقق وجود الرب معه مستخدمًا إياه. فأكرم الرب ذراع يوناثان التي تشددت وعملت بالإيمان مع الله الذي أظهر ذاته فوقع رعب الرب على أعداء إسرائيل (ع ١٣-١٥).

وكانت الضربة الأولى التي ضربها يوناثان وحامل سلاحه نحو عشرين رجلاً. تطلع شاول من مرقبه في جبعة فرأى الذعر الشديد في محلة الفلسطينيين. لقد ترك تحت الرمانة التي في مغرون بينما ينتصر الله بواسطة يوناثان فقال شاول للشعب الذي معه «عدوا الآن وانظروا من ذهب من عندنا» (ع ١٧) فكان النظام ظاهرًا في إسرائيل ولكنهم مجردون من الإيمان «فعدوا وهوذا يوناثان وحامل سلاحه ليسا موجودين».

«فقال شاول لأخيا قدم تابوت الله» (ع ١٨) وهنا أيضًا التظاهر بإكرام الله بطلب الإرشاد منه. وفى هذه الأثناء «تزايد الضجيج الذي في محلة الفلسطينيين وكثر» وحيث أنه لم يعتمد على الله قال للكاهن «كف يدك» وهذا يرينا اضطرابه وحيرته وعدم إيمانه.

ونزل شاول إلى محلة القتال. ومن دون إبطاء أسرع وجنوده وراء الأعداء الهاربين. وحسب الظاهر تجلّت في شاول قوة كبيرة

لكنها لم تكن من روح الله. ولما انضم إلى الحرب لم يكن إلا مكدرًا ومعطلاً إذ تصرف من إرادته الذاتية وضايق إسرائيل بسبب حلفه الذي حَلفه. وظن في عماه أنه يستطيع أن يساعد في هزيمة الفلسطينيين هزيمة كاملة. لقد وضع شاول الشعب بسبب حلفه تحت ناموس فرائض «لا تمس ولا تذق ولا تجس التي هي جميعها للفناء في الاستعمال» وعبر عن حكمة بشرية بعيدة عن أفكار الله، وكان غرضه ليس لمجد الله بل لأجل مجد ذاته حيث يقول «.. حتى أنتقم من أعدائي». ولم يكن يوناثان يعرف شيئًا عن هذا الحلف، وأخذ قليلاً من العسل على طرف النشابة فاستنارت عيناه. والعسل رمز للأشياء التي من الطبيعة الإنسانية وحلاوتها واستخدامها بالطريقة السليمة ليس أمرًا ممنوعًا ولو ركع يوناثان على ركبتيه وملأ بطنه من العسل لكان ذلك سببًا في أن يتثقل في المعركة وعندئذ لا يكون صالحًا في الدخول إليها. لكن الإيمان الذي فيه استمر في عمله شاعرًا بمحبة الله متمتعًا بالحرية الكاملة وقبل ما يقدمه الله في طريق الخدمة بقلب شاكر وتناول منه ما يكفى لإنعاش روحه واستمر في خدمته وحفظ نفسه من معرفة القسم وتأثيره «وحيث روح الرب فهناك حرية».

شعر الشعب بالجوع والضعف والإعياء بسبب حلف شاول، وكانت هناك نتيجة أردأ إذ أكل الشعب من لحم الغنيمة مع الدم، وكان في هذا كسر للناموس (لا ٣: ١٧) وحين أخبر يوناثان بما فعل أبوه. قال «كدر أبى الأرض».

وبنى شاول أول مذبح للرب لأنه كان يخاف من دينونة الله له، وحين سأل الرب «أأنحدر وراء الفلسطينيين أتدفعهم ليد إسرائيل؟»، لم

يجبه الرب بشيء وتحقق أنه كانت هناك خطية، وتصور أن الخطية كانت خطية يوناثان ولم يكن لديه مانع من أن يقتله، يقتل الرجل الذي حقق النصرة للشعب، ولكن الشعب افتدى يوناثان فلم يمت.

هكذا كان شاول يرتكب حماقة وراء الأخرى، ولكن الرب أظهر رحمته له لعله يعود إليه تائبًا ومن الناحية الأخرى يظهر كل ما في قلبه من رداءة.

وكان الاختبار التالي لشاول هو عماليق، والدرس هنا كما في أي مكان آخر في الكتاب نجده في خروج١٧ وعدد٢٤ لأن عماليق من نسل أدوم أي عيسو، ويمثل شهوات الجسد، وفى نبوة بلعام (عد٢٤) قال بلعام «يبرز كوكب من يعقوب ويقوم قضيب من إسرائيل.. ويكون أدوم ميراثًا ويكون سعير أعداؤه ميراثًا» وسعير هي مكان سكنى أدوم الذي منه جاء عماليق، وكان كلام الرب إلى موسى أنه لا يعطى بنى إسرائيل حتى وطأة قدم في أرض عيسو، ومعنى هذا أن عماليق سوف يستمر حتى مجيء المسيح للملك وعندئذ يهلك إلى الأبد وإلى ذلك الوقت فإن اليد على كرسي الرب. «للرب حرب مع عماليق من دور إلى دور» (خر١٧: ١٦)، أي أن خراب عماليق يقترن بمجيء المسيح للملك، والجسد لابد أن يستمر حتى مجيء المسيح للمُلك.

لم يكن شاول هو الملك الحقيقي الذي هو المسيح، ونرى الآن قوته بعد الخلاص الذي تم في مخماس إذ أصبح فعلاً الملك على كل إسرائيل، وحارب جميع أعداء إسرائيل وانتصر عليهم وعمل ببأس وخلّص إسرائيل من جميع أعدائه.

يذكر هنا ثلاثة أبناء لشاول، ونقرأ في مكان آخر عن اسم رابع «إيشبوشث» ومعنى اسمه «رجل العار» وهو الوحيد الذي بقى بعد موت أبيه. وكان الثلاثة المذكورون هنا مصدرًا لقوة أبيهم وسلطانه على الشعب كما تدل على ذلك أسماؤهم ولم يكن من الموافق أن يذكر اسم إيشبوشث معهم، وكان شاول على ما هو عليه يحب يوناثان ومع ذلك أراد أن يقتله وفاء لقسمه الأحمق، كما أراد أن يقتله بسبب عهده مع داود، ومعنى اسم يوناثان «الرب أعطى». وكان هو بكر شاول، وكما قال يعقوب عن رأوبين بكره إنه فضل القوة وفضل العز.

وكان اسم ابنه الثاني «يشوى» ومعنى اسمه «خادم الله للصلاح» وكما جاء في رومية ١٣: ٣ «أفتريد أن لا تخاف السلطان. افعل الصلاح فيكون لك مدح منه». والاسم الثالث «ملكيشوع»، ومعنى الاسم «ملكي مخلص» أي الذي يضع ثقته في الملك المخلص وكما تعنى أسماء أولاد شاول فإن هذا كان جديرًا أن يعطى لشاول أبيهم قوة للسيطرة على الشعب. أما بنات شاول «ميرب» ومعنى الاسم «يزداد»، «ميكال» ومعنى الاسم «مجرى صغير»، وهكذا نرى أن قوة شاول ازدادت كما تزداد المياه في مجرى صغير بسبب الغنائم التي حصل عليها من الفلسطينيين. وكان معنى اسم زوجته «أخينوعم» أي «أخي السرور» وهذا يتوافق مع ازدياد قوة شاول لسروره بانتصاراته.

أما أبنير رئيس جيشه فمعنى اسمه «أبو النور» وهو نور زائف بقى بعد موت شاول وكان معضدًا لإيشبوشث الأمر الذي أوصله إلى موت العار.

الأصحاح الخامس عشر

والآن تجلت تفاهة رجل اختيار الشعب وفراغه المطلق، فإن خيبته في استئصال شأفة العمالقة أصلاً وفرعًا دلت على أنه لم يكن لمشيئة الله مكان في قلبه، كان كل غرضه الفوز بالأسلاب الدسمة، وهكذا استبقاها. وفى شاول أحسن تطبيق لأقوال بولس الخطيرة «لأن اهتمام الجسد هو عداوة لله إذ ليس هو خاضعًا لناموس الله لأنه أيضًا لا يستطيع فالذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رو ٨: ٧، ٨).

في ١صموئيل ١٤: ٤٧-٥٢ نرى ما أتمه شاول وهو ملك على إسرائيل. كان رجل حرب، نجح بوجه عام في نضاله، لكنه لم يفعل شيئًا على الوجه الأكمل لم يصل إلى العمق إلى جذور الأمور. حارب الفلسطينيين لكنه لم يستطع أن يخضعهم وإلا فما كانت تبقى «حرب شديدة على الفلسطينيين كل أيام شاول»، وكذلك حارب العمالقة لكنه لم يعمل على إبادتهم. وكان «إذا رأى شاول رجلاً جبارًا أو ذا بأس ضمه إلى نفسه» ومن المستحيل أن نلمس في هذا جميعه آثار تدريب الإيمان وإنما استعلان المجد لكل ما هو جسدي.

والآن يفرد الروح القدس أصحاحًا كاملاً للكلام عن الحرب ضد عماليق لكي نرى بوضوح لماذا رفض الرب شاول، ونرى عدالة الله

في هذا الرفض، كان حكم الله قد صار من قبل ضد ذلك العدو اللعين لشعبه، ففي رفيديم أمر الرب بحرب ضد عماليق من دور إلى دور، وموسى وهو يودع إسرائيل أوصاهم أن يمحوا ذكر عماليق من تحت السماء «لا تنس» (تث ٢٥: ١٩).

حين أخبر الرب صموئيل بما فعله شاول وبأنه لا يمكن أن يكون بعد ملكًا، حزن النبي حزنًا ثقيلاً حتى صرخ إلى الرب الليل كله، وفى إرميا ١٥ يذكر النبي بالوحي «صموئيل» كواحد من رجال الصلاة المشهورين في إسرائيل. لكن الصلاة في هذه المناسبة لم يكن لها جدوى. فقد امتُحن شاول بالتمام فوجد ناقصًا. فشل بالرغم من كل الإمكانيات التي وهبها الله إياه. فلم يبق إلا أن ينفذ الحكم، وكان التنفيذ عملاً محزنًا على قلب صموئيل الذي كان واضحًا أنه يحب الملك الضال، فلما مضى ليبحث عنه سمع أنه ذهب إلى الكرمل، وأنه «نصب لنفسه نصبًا» (ع ١٢) أي عمودًا تذكاريًا تسجيلاً لانتصاره لأن الجسد يطلب مجده دائمًا، وأخيرًا وجده في الجلجال موضع الختان. ولو أن شاول كان قد تعلم درس الجلجال -الحكم على الذات، لاختلف تاريخ حياته تمامًا. وبمظهر تقوى استقبل النبي بقوله «مبارك أنت للرب، قد أقمت كلام الرب» تلك أكذوبة يعرفها شاول ولما سئل عن دلالة صوت الغنم وصوت البقر أجاب الملك بأن الشعب عفا عن خيار الغنم والبقر للذبح للرب، وفى العدد ٩ يسجل المؤرخ المقدس «وعفا شاول والشعب.. الخ» مثل آدم في عدن، إذ عوض أن يعترف بخطيئته أنحى باللائمة على الله لأنه أعطاه حواء.

كانت دعوى شاول غير مقبولة، فالملك لابد أن يحكم، وينبغي أن يُعلم الشعب ما هو صواب ويتطلب الأمر عمل الصواب، وفي العدد ٢٤ يقول شاول «خفت من الشعب وسمعت لصوتهم» وهكذا خاف رؤساء الكهنة والشيوخ من الشعب في يوم سيدنا (مت ٢١: ٢٣-٢٧) إن هؤلاء الأشخاص جميعًا لا يصلحون إطلاقًا لأن يجلسوا في كراسي الحكم. وهوذا داود في كلماته الأخيرة يصف الملك المثالي بقوله «فإذا تسلط على الناس بار يتسلط بخوف الله» (٢صم ٢٣: ٣). على أن المُتسلط الكامل لن يُرى على الأرض حتى يأتي الإنسان الجالس عن يمين الله في مجد وقوة، ولكن ألسنا نسعى في الوقت ذاته أن نسلك في خوف الله ولا نخاف من البشر؟

وفى كلمات قليلة ومؤثرة يعيد صموئيل إلى مسامع شاول معاملات الله فيما مضى وعدم إطاعته لكلمة الله، ولم يكن فيما قاله معبرًا عن رأيه الخاص بل كما قال هو «أخبرك بما تكلم به الرب إليّ هذه الليلة». لما كان شاول صغيرًا في عيني نفسه أقامه الله على أسباط إسرائيل، لكن تغيرت بعد ذلك مشاعره فهو الآن في تقديره الشخصي قائد عسكري عظيم تحت إمرته أكثر من مائتي ألف رجل وقد أصبح أحد مشاهير الأرض، إنسانًا يُخشى بأسه، وفى هذا الفخ نفسه سقط عزيا بعدما حقق انتصارات عظيمة ومكتوب عنه «ولما تشدد ارتفع قلبه إلى الهلاك» (أى٢٦: ١٦). لكن الأمر يختلف كل الاختلاف بالنسبة لبولس الذي كان إحساسه بضعفه ينمو ويتزايد في نفسه على مر الأيام «أنا أصغر جميع القديسين» (أف ٣: ٨) ولابنه تيموثاوس يقول عن نفسه إنه «أول الخطاة» (١تى ١: ١٥) وعند نقطة معينة

في تاريخه تخلى عن اسم شاول مفضلاً أن يكون معروفًا باسم بولس الذي معناه «صغير».

لم يكن يجدي شيئًا لشاول أن يلوم الشعب عما حدث، وأنه يحتج بأن خيار الغنم التي استحياها كانت ستُقدم ذبيحة للرب فقد بدد صموئيل كل المبررات بحزم حين قال «هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب؟ هوذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش» (ع ٢٢) وهنا مبدأ حيوي لشعب الله في كل العصور، فلا بديل على الإطلاق للطاعة، لقد كان الإنسان يسوع المسيح يسر طوال حياته بمشيئة الله، وترك لنا مثالاً لكي نتبع خطواته. فلزام علينا أن تكون أفكارنا العميقة وبواعث قلوبنا وتصرفاتنا في منازلنا وفى الخارج تحت سيطرة مشيئة الله المعلنة. ولن يكون الاستناد على نفعنا للخدمة مقبولاً للتخفيف من وطأة ما نعلم أنه مناوئ لله ولكلمته. والتسامح مع الشر في محيطنا الكنسي على ترجى الخير فيما بعد، لا ينفع قدام الله. فمهما تكن النتائج بالنسبة لنا وللآخرين، فلزام علينا أن نطيع.

كشف صموئيل الغطاء عن العصيان، وأعلن طابعه الحقيقي كما يراه الله، «التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم» إن شاول نفسه في أفضل أيامه أدرك ما في العرافة من شر ومن إثم وعمل على وقفها (١صم ٢٨: ٣-٩) ويبدو أنه في خلال مدة حكمه لم يقم تمثالاً منحوتًا لكنه هوذا يُقال له الآن إن عناده يساوى بالتمام العرافة والوثن. لماذا ؟ لأن العناد يستبدل بالله شيئًا آخر سواه، أي يتحدى سيادة الله وسلطانه بمخلوقات يديه. إن العناد رفض الاستماع إلى

الصوت الإلهي. هو اليوم شر خطير مثل يوم وقف شاول وقد كشفه نبي الله في الجلجال.

وفى الجلجال، في هذا الموضع الذي أختير دون غيره من المواقع ليقدموا فيه ثمرة الفساد لله. كان الجلجال فيما مضى محلة العسكر لإسرائيل، والبقعة في الأرض التي استخدمت فيها سكاكين الختان، كان درسًا قائمًا، درسًا في غاية الخطورة. درس الحكم على الذات من جانب كل الذين يريدون أن يتعاملوا مع الله. غير أن الشعب وقد ضاع منه الإحساس بدلالة الموقع كملكهم جعلوا الجلجال فيما بعد واحدًا من مراكز تعدياتهم ضد الله (هو ٤: ١٥ و عا ١: ٤، ٥) على أن أقوال صموئيل الأمينة لم تنشئ توبة في شاول. صحيح أنه قال «أخطأت لأني تعديت قول الرب» وقد تبين لنا أنه كان اعترافًا أجوف فيما قاله بعد ذلك مباشرة «والآن فاكرمني أمام شيوخ شعبي وأمام إسرائيل» ذلك أن القلب المنسحق يرغب أن يأخذ أدنى مكان ممكن قدام الله، ولا ينبغي أن فكرة الكرامة قدام الناس تدخل في ذهن الشخص الذي يشعر حقيقة بخطيته.

أنشأ تدخل صموئيل موقفًا غير طيب حاول شاول أن يحسمه بأقل تأخير إذ يتحدث مع صموئيل عن «الرب إلهك» مرتين ويبدو أنه ضاع منه كل إحساس بعلاقته مع الله.

وأنه لأمر خطير حقًا أن نلاحظ أن صموئيل يتحدث عن رفض شاول بأسلوب يقارب أسلوب بلعام في كلامه عن بركة إسرائيل. فبلعام يقول «ليس الله إنسانًا فيكذب ولا ابن إنسان فيندم»

(عد ٢٣: ١٩) إذن فبركة إسرائيل محققة مهما يفعل العدو ومهما يظهر من الشعب من عدم أمانة. ويقول صموئيل «نصيح (رجاء) إسرائيل لا يكذب ولا يندم لأنه ليس إنسانًا ليندم» إذن فالرفض الإلهي لشاول محقق بقدر ما كانت بركة الأمة محققة، لأنه طالما أعطى الله كلمة فلن يتراجع عنها، وهذه الحقيقة المباركة، هي الراحة الحقيقية للإيمان في كل عصر.

نرى في أجاج الملك العماليقى حين قال «حقًا قد زالت مرارة الموت» أي حكم الموت. صورة للكثيرين الذين يظنون أن مرارة الموت قد زالت عنهم وهم على بعد خطوات منه، ويبعدون عنهم يوم البلية وهم قريبون منه، وإعدام الملك العماليقى هو خاتمة هذا الأصحاح الخطير، ولا يخامرن الشك قلب إنسان في عدالة هذا الحكم. فمن مبادئ الله السياسية الكبرى «فإن الذي يزرعه الإنسان إياه يحصد أيضًا» (غل ٦: ٧). فكم ملأ سيف أجاج العنيف قلوب الأمهات بالحزن الثاكل وقد جاء دوره الآن في عدالة الله، كان ذلك الملك يستهين بموقفه، لم يكن نادمًا على فظائعه حتى أنه تقدم إلى صموئيل فرحًا لكن صموئيل قطعه أمام الرب في الجلجال لأن الله نور كما هو محبة. وهناك ملك وثنى آخر قد اعترف بعدالة ما وقع عليه يوم قطع آسروه أباهم يديه ورجليه فإنه كان قد فعل ذلك عينه لسبعين ملكًا (قض ١: ٦، ٧).

ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاول والرب ندم لأنه ملَّك شاول على إسرائيل.

الأصحاح السادس عشر

إن قول صموئيل الشهير «الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش» لن ينسى، لئن أبى شاول أن يتعلم شيئًا من كلمات النبي هذه فإن جماهير القديسين أفادوا منها منذ قيلت حتى يومنا هذا. إن الاستماع والإصغاء هما جوهر الحياة المقدسة، والعيشة لله، والذبائح الغالية لن تكون بديلاً عن استماع صوت الرب.

أما والملك العنيد رجل اختيار الشعب قد رفض الآن رفضًا إلهيًا فها هو الرب يقدم رجلاً بحسب قلبه. أما كم يختلف داود عن شاول فذلك نراه في مزمور ١١٩ الذي لكونه توسعًا لمزمور ١٩ فهو في الغالب مكتوب بيد داود، ففي أحد أعداده يقول «دربنى في سبيل وصاياك لأني به سررت» (ع ٣٥) وفى عدد آخر يقول «وأتلذذ بوصاياك التي أحببت» (ع ٤٧) ثم «لأجل ذلك أحببت وصاياك أكثر من الذهب والإبريز» (ع ١٢٧) ثم «فغرت فمى ولهثت لأني إلى وصاياك اشتقت» (ع ١٣١).

وليس معنى ذلك أن صاحب المزمور كان كاملاً لأن الكامل واحد فقط هو الرب يسوع المسيح له المجد، بل كل ما في الأمر أنه مهما تكن عثراته وفشله فقد كان قلبه نحو الله لكي يرضيه، ومن هنا نراه

يختم مزموره الطويل بقوله «ضللت كشاة ضالة. اطلب عبدك لأني لم أنس وصاياك».(ع ١٧٦).

حزن صموئيل حزنًا عميقًا من أجل شاول، ولا عجب إذ لم يسعه إلا أن يهتم بالملك الذي مسحه، فكانت خيبة الأمل عظيمة ولكن في الوقت المناسب أيقظه الرب من حزنه وأمره أن يملأ قرنه دهنًا ويذهب إلى بيت يسى البيتلحمى «لأني قد رأيت لي في بنيه ملكًا».

ولما سأل صموئيل الرب كيف يذهب إلى بيت لحم آمنًا في مثل هذه المهمة. قال له الرب أن يأخذ عجلة من البقر ويدعو عائلة يسى إلى الذبيحة. وهنا تذكرنا الأحداث مرة أخرى بالمسيح إذ هو الذي ترمز إليه الذبيحة. فكل ما يتعلق بمجد الله وبركة الناس قائم على ما هو شخصه الكريم وما قد فعله. فإن عظمة شخصه وما لذبيحته من قيمة لا حد له ويضمن كل شيء ويثبته إلى الأبد.

على أن الشيوخ ارتابوا في زيارة صموئيل إلى بيت لحم، فسألوه في ارتعاب «أسلام مجيئك» ما أرعب الحالة التي وصلت إليها الأمور في إسرائيل حتى يوجه الشيوخ مثل هذا السؤال لواحد كان يحب الأمة بذلك القدر المأثور عن صموئيل! على أنه مادام الشعب في غير سلام مع الله فإن مجرد زيارة رجل الله أمر يرعبهم. وهذا يذكرنا بكنيسة كورنثوس التي كانت تنظر في شيء من الرعب إلى دعوة غير منتظرة من الرسول بولس بينما كانت تتسامح مع الشر العظيم في وسطها فربما كان يأتي بعصا (١كو ٤: ٢١).

حين وصل النبي إلى بيت يسى أوشك أن يقع في خطأ عظـــيم، إذ حين دخل أولاد يسى تأثر صموئيل بمنظر أليآب اللطيف وقـــال «إن أمام الرب مسيحه» على أن «الرجل الأطول من كل الشعب من كتفه فما فوق» كان في تلك اللحظة متربعًا على عرش إسرائيل وهو كتلة من الفشل المحزن. وكان الجواب الإلهي على فكرة النبـــي حـــافلاً بالتعليم لما هو أبعد من ظروف ذلك اليوم «لا تنظـــر إلـــى منظـــره وطول قامته لأني قد رفضته. لأنه ليس كما ينظـــر الإنســـان. لأن الإنسان ينظر إلى العينين وأما الرب فإنه ينظر إلى القلب».

كان أليآب هو البكر ليسى لكن متى كان الله يختـــار البكـــر مـــن البشر؟ إن الشخص الذي كان له بسبب مولده مظهر المطالبة بالأحقية نراه في كل الكتاب المقدس مطروحًا، وذلك لكي يـــتعلم الجميـــع أن البركة هي من النعمة المطلقة، فلم يتبارك قايين بل هابيل، لا إسماعيل بل اسحق، لا عيسو بل يعقوب، لا رأوبين بل يوسف، لا منسى بـــل أفرايم، لا هرون بل موسى وهكذا في طرق الله بلا منازع أو تغيير.

وقد دل الواقع أن مسيح الرب كان شخصًا بلا قيمة. لأن الصبي داود لم يكن قد دُعي حتى مجرد دعوة لمقابلة النبي. فيا لها صـــورة لذاك الذي كان مرذولاً، مرفوضًا من الناس! ولا ننسى العمل الـــذي كان يقوم به «هوذا يرعى الغنم» وهو في ذلك أيضًا صورة لســـيدنا المبارك، وعلى مباينة ملحوظة مع شاول الذي كان اهتمامه بـــالأتن وحتى الأتن لم يحفظها بل أضاعها.

فلما سمع صموئيل بوجود الفتى الراعي قال ليسى «أرسل وأت به. لأننا لا نجلس حتى يأتي إلى هنا». وكلمة «يجلس» تعنى في العبرية «يجلس حول» أي أن الدائرة لا تكتمل بغير داود. ولابد من وجوده في الوسط.

إن المسيح هو مركز كل شيء عند الله، ومكانه الحاضر هو في وسط الجماعة، هناك يقود أغاني التسبيح لله، والإحساس بحضوره يجلب البركة للمجتمعين. وحضوره هو الذي يضفى على تصرفاتهم قوة وشرعية «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم» وفى دهر الملكوت القادم سيأخذ مكانه في الوسط، وسط الجماعة العظيمة. وهذا يعنى أن الأمم وملوكهم يسلمون لسلطانه فرحين. الكل يتباركون بحسب مشورات الإله الكريم ببركاته الأرضية «يحمدك يا رب كل ملوك الأرض إذا سمعوا كلمات فمك ويرنمون في طرق الرب. لأن مجد الرب عظيم» (مز ١٣٨: ٤، ٥) وفى مكان أسمى سيُرى كالحمل في وسط العرش والشيوخ والحيوانات (الكائنات الحية) يتفرسون في المنظر البهيج مأخوذين عجبًا، منشدين أنشودة الفداء الجديدة بدمه الكريم (رؤ ٥) وهكذا تكون مكافأة الإله البار سواء فوق أو تحت، لذاك الذي ارتضى في نعمته التي لا حد لها أن يُعلّق بين لصين على خشبة الصليب. ذاك الذي كان الهدف الرئيسي في يوم الهوان، سيكون الهدف الرئيسي في الأمجاد السماوية والأرضية للدهور الآتية.

«فأخذ صموئيل قرن الدهن ومسحه في وسط إخوته، وحل روح الرب على داود من ذلك اليوم فصاعدا». مسح داود ثلاث مرات (المسحة هي اختيار وتعيين شخص لمهمة) حيث مسحه صموئيل للمرة الأولى في هذا الأصحاح، ثم مسحه رجال يهوذا في حبرون (٢صم ٢: ٤)، وأخيرًا جاء جميع شيوخ إسرائيل إلى الملك في حبرون ومسحوه ملكًا على إسرائيل (٢صم ٥: ٣). وهو في ذلك رمز للرب يسوع المسيح الذي يسجل عنه الوحي ثلاث مسحات حيث مسح من الأزل للخلق «منذ الأزل مسحت منذ البدء منذ أوائل الأرض» (أم ٥: ٢٣)، ومسح الرب أيضًا للخدمة نسمع من فم ذلك الفادي المجيد قارئ نبوة إشعياء في مجمع الناصرة هذه الأقوال «روح الرب على لأنه مسحني» (إش ٦١: ١ ؛ لو ٤: ١٨ و أع ١٠: ٣٨)، ومسح أيضًا ليملك «أما أنا فقد مسحت ملكي على صهيون جبل قدسي» (مز ٢: ٦). لكن في مسحه كما في أي شيء آخر لابد أن يكون سيدنا متقدمًا بارزًا عن كل الذين يختبرون مسحة الروح (ايو ٢: ٢٧) «من أجل ذلك مسحك الله إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك» (مز ٤٥: ٧).

ذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح رديء من قبل الرب. قد رأينا أن روح الرب حل على شاول بعدما مسحه صموئيل ولكن لا يُقال عنه إنه حل عليه من ذلك اليوم فصاعدًا إنما حل عليه مؤقتًا ليلبسه قوة بها يضرب أعداء الرب، ومع ذلك لا نسمع أن شاول حارب بقوة من الله لأنه كان إنسانًا جسديًا. فتركه روح الرب مطلقًا

وأتاه روح شرير بأمر الرب وكان ذلك بسبب تعديه على كلمة الله مرة بعد أخرى وابتعاده عن السلوك اللائق بمقامه كملك إسرائيل. كانت أناة الله قد انتظرته زمانًا كافيًا ولم ينتبه ولا تاب عن طرقه. وكما حكم الرب عليه بعزله عن المُلك لم يتأثر كما يجب بل استمر مفتكرًا في مجد ذاته فقط. فأرسل الرب حينئذ ومسح داود وحل روح الرب عليه. وكلما كان داود تقيًا وأمينًا أبغضه شاول أكثر وتمكنت منه قوة الشيطان الذي استخدمه، محاولاً أن يقتل داود ويمنع إقامة النظام الملكي عن يده حسب قصد الله. وفى كل ذلك نرى داود رمزًا صريحًا للمسيح الذي هو مَلك الله المُختار.

وكما رفض شاول كلمة الرب فسلمه الرب ليد الشيطان فإن هذا بعينه سيحدث للمسيحية الاسمية في أيام ارتدادها عندما تترك الرب وتتبع أرواحًا مضلة وتعاليم شياطين. ولم يزل الله يسمح للشياطين أن تسيطر على العصاة والذين لا يطيعون الحق.

وفى مظهر داود نرى رمزًا جميلاً لربنا يسوع المسيح له المجد إذ قيل عنه في العدد ١٢ إنه كان «أشقر مع حلاوة العينين وحسن المنظر». والتعبير أشقر أي أبيض وأحمر وهذا ما تقوله عروس النشيد عن عريسها الذي هو المسيح. «أبيض» أي قدوس «وأحمر» أي إشارة إلى سفك دمه على الصليب. كما أن حلاوة العينين تشير إلى ما قالته أيضًا تلك العروس إن عينيه «كالحمام» أي له العين البسيطة التي تمجد الله وعلى مجارى المياه وفى بساطتها فإن قيادتها بالروح القدس، أما حسن منظره فهذا ما نراه في مزمور ٤٥ «أنت

أبرع جمالاً من بنى البشر» أما ما يقوله أحد الغلمان لشاول عنه في العدد ١٨ رجل يحسن الضرب أي أنه المرنم. وما أجمل المزامير التي رنمها داود. وهو في هذا رمز للمسيح الذي مكتوب عنه «أخبر باسمك إخوتي في وسط الكنيسة أسبحك»، كما أنه جبار بأس أي رمز للمسيح كالحامل كل الأشياء بكلمة قدرته، ورجل حرب لأن المسيح هو الذي يحارب حروبنا، وفصيح لأن الرب يسوع قيل عنه «لم يتكلم إنسان قط مثل هذا الإنسان»، والرب معه وكما كان المسيح هكذا داود، كان المسيح متكلاً على الله تمامًا ومكتوب عنه في مزمور ١٦ «احفظني يا الله لأني عليك توكلت».

بيد أن داود مع أنه مُسح، لم يجلس على عرش إسرائيل فورًا بل نظير الرب يسوع لابد أن يجتاز سنوات مريرة من الألم والرفض. وفى وقت الله تحطم رجل اختيار الشعب الجسدي، وارتفع الإنسان الذي بحسب قلب الله. وعلى هذه الصورة عينها قد رتب الله في مشورته موعدًا توضع فيه ممالك العالم بين يدي الرب يسوع له المجد. والحاجة الماسة لتحقيق هذا الوعد تزداد حلاوة لكل ذي عينين. ذلك أن أنين العالم يزداد عمقًا كل لحظة.

دعي داود ليضرب بالعود ويرنم أمام الملك المحزون لتطيب نفسه. فأحبه شاول جدًا ولكن حبه كان وقتيًا فقط.

«فكان يرتاح شاول ويطيب ويذهب عنه الروح الرديء» نرى هنا صورة جميلة عن الرب يسوع المسيح، فكلماته الحلوة وتعزيات روحه تنعش وتطرد الأرواح الشريرة. وكان بعد أن يهدأ الملك

التعس وتطيب نفسه كان الراعي الملك الصغير يعود إلى بيته. وإلى رعاية قطيع أبيه.

لم يتردد داود عن أن يأخذ مكانه كخادم حتى في دار من برهن في مستقبل الأيام أنه أعدى أعدائه. وهكذا لم يفرق بين أي عمل يقوم به أو مكان يحل فيه سواء كان ذلك العمل حماية قطيع أبيه من وحـــوش البرية أو إبعاد الروح النجس عن نفس شاول.

الأصحاح السابع عشر

جمع الفلسطينيون جيوشهم للحرب في «سوكوه» والاسم يعني «خيمته أو أقداسه» نزلوا بين سوكوه و «عزيقة» والاسم يعنى السياج وكأن أقداس الله يحميها سياج هو الحق والكتاب المقدس يعلن أنه يوجد بابان وطريقان ونهايتان، طريق ضيق إلى أقداس الله ومحضره وما أقل الذين يدخلونه، وأما الباب الآخر والطريق الآخر فهو واسع ورحب ومن خلاله يدخل الكثيرون، ولا يصل بهم الأمر إلى أقداس الله، مع أنه عليهم اسم المسيح ولكنه يصل بهم إلى مكان بين خيمة الشهادة وسوكوه، هناك تقع محلة الفلسطينيين التي ترمز إلى المسيحية الاسمية التي سفكت دم القديسين والأنبياء (رؤ ١٨: ٢٤). أما الطريق الضيق فمكتوب عليه دم المسيح أي أن الذي يدخله فإن دخوله على حساب الدم ويصل بالإنسان إلى محضر الله حيث الشبع والحرية والفرح «إذ لنا ثقة بالدخول إلى الأقداس بدم يسوع» (عب ١٠)، «أنا هو الباب إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى» (يو ١٠) «أمامك شبع سرور في يمينك نِعَم إلى الأبد» (مز ١٦).

وكان جيش شاول في وادي البطم وهو يبدأ من نقطة تجاور مدينة حبرون القديمة ويتجه إلى الشمال الغربي نحو البحر ويبلغ اتساعه

نحو ميل واحد، وتوجد في وسطه قناة عميقة وفى القناة يتدفق الكثير من مياه السيول في الشتاء.

جمع الفلسطينيون جيوشهم بعد أن بدأوا يستردون قوتهم بعد كسرتهم أمام شاول وابنه يوناثان في مخماس، وعسكرت جيوشهم في الناحية الأخرى من وادي البطم، وظهر من صفوفهم ذلك العملاق وهو أحد العناقيين من جت، وكان من القوة بحيث لا يمكن لرجل أن يتغلب عليه. والاسم «جليات» يعنى «المطرود أو المنفى»، وجت معناها «معصرة»، وفى حقيقة الأمر فهو مطرود من محضر الله ولابد أن يُداس في معصرة غضب الله في هاوية العذاب.

وكان جليات يعير صفوف الله الحى فظل يفعل ذلك أربعين يومًا وهو في ذلك رمز للشيطان الذي ظل يعير البشرية أربعين قرنًا إلى أن جاء الرب يسوع له المجد فأبطل حجة الموت من فمه (كو ٢: ١٥ و عب ٢: ١٤)، كان طوله ستة أذرع وشبر، والعدد ستة يشير إلى الشر، وكان يلبس ست قطع من السلاح، وفى سفر الرؤيا نقرأ أن عدد الوحش إنسان الخطية ٦٦٦ (رؤ ١٣: ١٨) وهو العتيد أن يظهر العداوة العظيمة لله.

كانت موقعة وادي البطم غريبة جدًا إذ يطلب جليات إنهاء المحاربة عن طريق المبارزة الفردية. وأي فرد من إسرائيل كان يمكنه أن يقف أمام ذلك العدو الأغلف المخيف؟ إنه أمر واضح أن الله أراد أن يظهر لإسرائيل مرة أخرى أنه شعب ضعيف بلا قوة وأن خلاصه الوحيد كان بذراع الله القوية كما في القديم. وأنه مستعد كما

كان في الماضي لأن يتقدم أمام شعبه في شخصيته العجيبة «كرجل حرب» عندما يتطلب منه الإيمان ذلك.

وإن كان سلاح جليات مكونًا من ست قطع فإن سلاح الله المُشار إليه في أفسس ٦ مكون من سبع قطع (عدد الكمال) وكان من أسلحة جليات درع مصنوع من حراشف النحاس ويغطى الظهر والصدر والذراعين ويقابله في سلاح الله الكامل درع البر الذي يغطيه رقائق البر العملى والذي ينبغي أن لا تكون فيه ثغرة واحدة أي أن كل أعمال البر العملي يجب أن تكون نابعة من ضمائر وقلوب مستريحة تمامًا من جهة تلك الأعمال. أما الترس فيقابله ترس الإيمان أي إيمان الثقة في الله الذي نثق في محبته وقدرته كما أن سيف جليات يقابله سيف الروح الذي هو كلمة الله، وبترس الإيمان نستطيع أن نطفئ سهام الشرير الملتهبة كما أنه بسيف الروح نستطيع أن نسكت إبليس ونعطل تأثير مكايده.

عير ذلك الفلسطيني شاول وجيشه المرتاع بمرارة قائلاً «أما أنا الفلسطيني وأنتم عبيد شاول». أجل هكذا كانت الحقيقة المؤلمة فقد سقط إسرائيل من مجده كعبيد يهوه وصاروا مجرد عبيد لشاول، وهذا نفس ما حذرهم منه صموئيل (١صم ٨: ١١-١٨) كل هذه التعييرات المرة حدثت لأنهم عوضًا عن أن ينظروا إلى الله كملك إسرائيل نظروا إلى شاول.

كان الله يهيئ في الخفاء تلك الآلة التي يمكنها القيام بهذه المهمة الشاقة. وهو دائمًا يهيئ في الخفاء من يريد أن يستخدمهم علانية، ويجعل عبيده يعرفونه في خلوة مقدسة ويمر بعظمته أمام عيونهم. هكذا

كان الحال مع داود فقد كان وحيدًا مع الله حين كان يرعى غنم أبيه في البرية فامتلأت روحه بقوة الله وها هو يظهر في وادي البطم كمخلص إسرائيل الرجل الوحيد الذي استطاع أن يقابل حاجتهم في وقت ضيقتهم ولذلك طلب يسى من داود أن يذهب إلى إخوته ليفتقد سلامتهم، فبكّر داود صباحًا إذ كان رجلاً نشيطًا وهو في هذا رمز للمسيح الذي كان يتقدم للتمتع بالشركة مع الله الآب في الصباح الباكر جدًا (مر ١: ٣٥).

وترك داود الغنم مع حارس وفى هذا نرى أمانته وهى رمز لما قيل عن ربنا يسوع المسيح له المجد حال كونه أمينًا للذي أقامه (عب ٣: ٢)، الشاهد الأمين (رؤ ٣: ١٤). ونرى هنا طاعة داود وهو في هذا رمز للمسيح ولطاعته إذ في طريق الطاعة «أخلى نفسه آخذًا صورة عبد صائرًا في شبه الناس وإذ وُجد في الهيئة كإنسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب» (في ٢) فإنه هو المُرسل من الآب إلى شعبه «الذي أرسلني هو معي ولم يتركني الآب وحدي» (يو ٨: ٢٩) «الله قد أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به» (١يو ٤: ٩).

أتى داود إلى المحلة في تواضع واتهم اتهامات باطلة من إخوته وهو في هذا رمز للمسيح الذي «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يو ١: ١١) لقد قالوا له «ألسنا نقول حسنًا أنك سامري وبك شيطان» (يو ٨: ٤٨)، وقالوا عنه «يضل الشعب» (يو ٧: ١٢) «إن معه بعلزبول. وإنه برئيس الشياطين يخرج الشياطين» (مر ٣: ٢٢).

وحين اتهم داود من إخوته هذه الاتهامات الباطلة التي أساسها الغيرة الجسدية رد داود قائلاً «أمَا هو كلام» أي لا يوجد سبب لذلك إذ أنى مرسل في مهمة لله.

تحول عن إخوته لأنه كان متعلمًا درس الوداعة مثل جدعون الذي أجاب سبط أفرايم جوابًا لينًا كان سببًا في صرف غضبهم (قض ٨: ١-٣). لم يكن داود مهتمًا بالدفاع عن مسلكه أمام عجرفة أخيه لأنه كان محمولاً بقوة عجيبة لا يعرفها أليآب. سأل أليآب داود «على مَن تركت تلك الغنيمات القليلة» وفى هذا نرى فقر داود الذي يذكرنا بما قيل عن المسيح «فإنكم تعرفون نعمة ربنا يسوع المسيح أنه من أجلكم افتقر وهو غنى لكي تستغنوا أنتم بفقره» (٢كو ٨: ٩)، عاش المسيح فقيرًا إذ كان يُخدم من نسوة (لو ٨: ٣)، وليس له أين يسند رأسه (لو ٩: ٥٨) ولم يكن معه نقود لكي يدفع الدرهمين (مت ١٧: ٢٤-٢٧). ولم يكن هذا هو كل الفقر بل كان فقره المدقع هناك على الصليب حين كان متروكًا من الله محتملاً الآلام الكفارية.

عند سماع داود تعييرات الفلسطيني أراد أن يقتله لغيرته على مجد الله لأنه يقول «من هو هذا الفلسطيني الأغلف حتى يعير صفوف الله الحى» كما أنه سأل عن الأجرة التي يعطيها له الملك كما تكلم الملك فقيل له «إن الرجل الذي يقتله يغنيه الملك غنى جزيلاً ويعطيه بنته ويجعل بيت أبيه حرًا في إسرائيل».

وتقدم داود إلى شاول وقال له «لا يسقط قلب أحد بسببه» (ع ٢٣) أي بسبب جليات ونرى هنا داود رجل الإيمان الذي يشجع قلوب الشعب، ويذكر داود في أصحاح الإيمان (عب ١١) كبطل من أبطال الإيمان. وقال شاول لداود «لا تستطيع أن تذهب إلى هذا الفلسطيني لتحاربه» (ع ٣٣) ونرى هنا معوقات الإيمان التي يضعها الشيطان أمام المؤمن، لكن الإيمان يشق طريقه وسط هذه المعوقات وهنا نرى

«فضيلة الإيمان» (٢بط ١) وقص داود على شاول قصة الشاة المستردة من فم الأسد والدب.

كان داود يتجهز للخدمة الجهارية في مدرسة الله السرية، وهكذا يدرب الله دائمًا في السر تلك النفس التي يريدها أن تخدمه في الجهر مثل موسي الذي ظل في مديان ٤٠ سنة، وجدعون الذي كان يخبط حنطة في الخفاء ليهربها للشعب، وبولس الذي مكث في العربية ثلاث سنين» (غل ١: ١٧).

فالشركة السرية مع الرب هي أعظم امتياز كما أنها سر القوة وأساس الغلبة. قد كانت هناك معاملة بين نفس داود في البرية وبين الله، وظهرت ثمار تلك المعاملة في الامتحان. فمثلاً عن ذلك قال داود «قتل عبدك الأسد والدب جميعًا. وهذا الفلسطيني الأغلف يكون كواحد منهما لأنه قد عير صفوف الله الحى» (ع ٣٦، ٣٧) لقد تعلم داود مما حدث في الماضي دروسًا لما سوف يفعله الرب معه في المستقبل، لقد عرف أن الأمر الثاني يسير لدى الله كالأمر الأول تمامًا، وهكذا عندما نكون في شركة سرية مع الله لا نقارن بين صعوبة وصعوبة فالإيمان يقيس كل صعوبة على قوة الله وحينئذ يرى الجبل كالسهل تمامًا.

لم يفتخر داود بقتله الأسد والدب إذ لم يخبر أحدًا قبل ذلك بهذه الواقعة ولم يكن ليذكرها إلا ليبرهن على شدة يقينه في نتيجة العمل الذي سيدخله إذ يريد أن يثبت أنه ليس بقوته يتقدم بل بقوة رب الجنود. وهكذا كان الحال في أمر اختطاف بولس إلى السماء الثالثة إذ

ظلت هذه الحادثة مدفونة في طي الكتمان مدة أربع عشرة سنة ولم يذكرها إلا حين اضطرته مباحثات الكورنثيين لذلك.

قال شاول لداود «اذهب وليكن الرب معك» لغة التدين ولغة الإيمان تظهران في تباين عظيم، فداود عندما أعلن إيمانه أعلنه بأسلوب واضح جلي عن حضور وقوة يهوه لكن ما أقل إدراك شاول لهذه الحقيقة. كان شاول يظهر اعتقاده في الرب بفمه ولكنه في الحقيقة كان يعتمد على قوة السلاح وإلا فما معنى إلباس داود عدة الحرب إذ بعد هذه الكلمات «ألبس شاول داود ثيابه وجعل خوذة من نحاس على رأسه وألبسه درعًا».

«فتقلد داود بسيفه فوق ثيابه وعزم أن يمشي. ونزعها داود عنه» (ع ٣٩) لم تكن تجربة داود فقط حينما قابل جليات في ساحة القتال العملية بل أيضًا حينما جربه شاول بإلباسه عدة حربه. ولو كان العدو قد نجح في جعله يذهب بها لضاع كل شيء، ولكن داود أمكنه التغلب على هذه التجربة بالنعمة وهكذا ترك نفسه كلية في يدي الرب. وما أعظم الأمان الذي وجده داود في ذلك. هذا ما يفعله الإيمان دائمًا. إنه يترك كل شيء لله وحده. ونتعلم من ذلك أيضًا أن أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون» (٢كو ١٠: ٤). ويذكر الوحي الإلهي عن استعداد دقيق قام به داود ليهزم عدوه، وإذ كان يؤمن أن استخدام الوسيلة هو أمر لا يخالف تدريبات الإيمان، نراه ليس فقط يحرص على أن يأخذ مقلاعه، ولكنه أيضًا يذهب إلى الوادي ليختار حجارة تناسب غرضه. ويمكننا أن نقول إن داود وهو ينتقي تلك الحجارة كان يرفع قلبه بالصلاة إلى الله

طالبًا منه الإرشاد الإلهي بل وهو موقن أنه يمكنه أن يحتاج إلى حجر واحد فقط إلا أنه اختار خمسة، دلالة على اجتهاده وإتقانه للعمل. وبهذا العمل التمهيدي كان يمارس نفس الإيمان الذي ظهر بعد ذلك في سلوكه وتحديه لجليات في الميدان نفسه، ولم يتجاهل ضرورة إعداد نفسه بالطريقة التي رآها للعمل الذي أمامه. وبعد أن عمل هذا استطاع بهدوء أن يترك النتيجة بين يدى الله. وكل الذين يشتاقون إلى الخدمة المثمرة عليهم مسئولية عظيمة أن يعملوا كل ما في طاقتهم ويتمونوا بكلمة الله حتى يضمنوا تقديم العلوفة المناسبة لقطيع الرب بالاعتماد على إرشاد الروح القدس. وهذا يتوافق مع تحريض الرسول بولس إلى تيموثاوس «اعكف على القراءة والوعظ والتعليم» (١تى ٤: ١٣) «تمسك بصورة الكلام الصحيح» (٢تى ١: ١٣).

وهكذا كان سلاح داود مكونًا من سبع قطع، خمس حجارة ملس وعصا وكنف الرعاة أي أنه سلاح كامل. وفى الحقيقة لم يكن في استطاعة داود أن يصيب كبرياء جليات بجرح أعمق من مجيئه إليه بمثل هذه الأسلحة. وقد شعر جليات بهذا الجرح القاسى إذ قال «ألعلى كلب؟».

ولما نظر الفلسطينى داود استحقره وهو في هذا رمز للمسيح المكتوب عنه «محتقر ومخذول من الناس» (إش ٥٣: ٤).

وقال داود للفلسطينى «أنت تأتى إليّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتى إليك باسم رب الجنود إله صفوف إسرائيل» لأن «اسم الرب برج حصين يركض إليه الصديق ويتمنع» (أم ١٨: ١٠) ويقول الرب للآب في يوحنا ١٧ «احفظهم في اسمك».

هنا يظهر غرض رجل الإيمان أن يعلن لإسرائيل وكل الأرض شهادة مجيدة عن قوة وحضور الله وسط شعبه. ولم يقل داود أنا آتى إليك بمقلاع وحجر، بل يقول «أنا آتى إليك باسم رب الجنود» وهكذا يؤكد أن الوسائل لم تكن شيئًا هامًا في نظر داود بل كان الله هو كل شيء، فالإيمان دائمًا يمجد الله، كما أن الله دائمًا يعظم الإيمان.

وأخذ واحدًا من هذه الحجارة وضرب الفلسطينى فارتز الحجر في جبهته، وهنا نرى سلطان الله وسيادته في توجيه الحجر إلى جبهة جليات. ومع أن داود انتخب خمسة حجارة ملس لكنه استخدم واحدًا منها فقط. وهو في ذلك رمز للرب يسوع المسيح الذي استخدم سفرًا واحدًا من أسفار موسى الخمسة هو سفر التثنية وغلب به إبليس عندما جربه في البرية.

وسقط جليات على وجهه على الأرض، وعندئذ أخذ داود سيفه وقطع به رأسه. وهذا يرينا رمزًا للرب يسوع له المجد الذي اشترك في اللحم والدم مثلنا لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس (عب ٢: ١٤). وللوقت قام رجال إسرائيل ويهوذا وتبعوا الفلسطينيين وحصلوا على نصرة كاملة حتى مجيئك إلى الوادى وحتى أبواب عقرون التي تقع على بعد ٢٥ كم إلى الشمال الغربي من سوكوه.

وذُكر في ٢صموئيل ٢١: ١٩ أن قاتل جليات هو ألحانان بن يعرى أرجيم البيتلحمى ولكن نجد توضيحًا لذلك في ١ أخبار ٢٠: ٥ حيث أن ألحانان قتل أخا جليات.

ولما رأى شاول داود خارجًا للقاء الفلسطينى قال لأبنيـر رئـيس الجيش «ابن من هذا الغلام يا أبنير؟» عرف شاول في داود صـفتين غير أنه كانت له ميزة أخرى لم يستطع شاول معرفتها ومـن هـذا يمكننا القول أن للمسيح – نظير داود – صفتين عرفه بهمـا أنـاس كثيرون ولكن بقيت أمامهم صفة ناقصة لم يدركوا معناها في المسيح. لقد عرفه شاول كمن أنعشه بالعزف على الموسيقى، وعرفـه أيضًـا كحامل سلاحه، ولكنه لم يعرفه أبدًا ولم يمكن أن يعرفـه كـالمخلص الكامل. أولئك الذين يتخذون ربنا يسوع كمنعش لنفوسهم أو مسـاعد لهم فقط في طريق الخلاص عوض اعتباره المخلص الوحيد. الكـل في الكل. يرتكبون أعظم الخطأ. لقد دخل الـرب يسـوع معركـة الخلاص وحده. وكان فيها المنتصر والمخلص الكامل.

وهكذا كان داود آلة لخلاص إسرائيل من التعييرات والتهديـدات المرة المهينة من ذلك الأغلف. ظهر هذا الراعى الضعيف محتقـرًا وغير معروف مع أنه كان مسيح الرب وذهب للقاء عدو الشعب بهمة إيمان لا تزعزعه الظروف والمعوقات، وخلص إسـرائيل خلاصًـا عجيبًا وهكذا كان انتصار الايمان. ويحق لإسرائيل أن يهتف لأن الله تقدم أمامهم وأنقذهم من يد أعدائهم وعمل بقوة على يد شـخص لـم يعرفوه أو يعترفوا به كمليكهم الممسوح ولكن صفاته الأدبية كانـت حرّية بأن تجذب كل قلب لها.

الأصحاح الثامن عشر

تعلقت نفس يوناثان بنفس داود، وكان يوناثان هذا هو ابن شاول الملك رجلاً مؤمناً حقيقيًا. شجاعًا وعلى استعداد أن يحارب الفلسطينيين بمفرده ومعه حامل سلاحه ولقد توافقت نفس يوناثان بنفس حامل سلاحه وسار الاثنان معًا في نفس الطريق. طريق الإيمان والثقة بالله.

وحين رأى يوناثان داود أحبه كنفسه وجرد نفسه من كل شيء وأعطاه لداود الأمر الذي يشير إلى المحبة المكرسة. كان لسان حاله «ينبغي أن ذاك يزيد وأنى أنا أنقص».

خلع يوناثان جبته وأعطاها لداود، وتشير الجبة إلى البر الشرعى، وهذا يرينا لسان حال المؤمن الذي يقول «وأوجد فيه وليس لي برى الذي من الناموس بل الذي بإيمان المسيح البر الذي من الله بالإيمان» (في ٣) وأعطاه أيضًا سيفه الذي يشير إلى كلمة الله التي ينبغي أن يستخدمها المؤمن في حروبه مع الشيطان، وخلع يوناثان ثيابه وأعطاها لداود وهى تشير إلى صفات المسيح الرائعة التي يجب أن نلبسها ونحن نحارب حروبه «البسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رأفات ولطفًا وتواضعًا ووادعة وطول أناة..» (كو ٣: ١٢)،

أما المنطقة فتشير إلى الخدمة التي يجب أن يكون قصدنا منها مجد المسيح وخير المؤمنين.

أحب يوناثان داود كنفسه لأن داود قتل جليات، ولكن ما قيمة قتل جليات بالنسبة لما عمله المسيح لأجلنا على الصليب إذ احتمل هناك دينونة خطايانا الأمر الذي يدعونا أن نحبه من كل قلوبنا «أحب المسيح أيضًا الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها لكي يقدسها مطهرًا إياها بغسل الماء بالكلمة. لكي يحضرها لنفسه كنيسة مجيدة لا دنس فيها ولا غضن أو شيء من مثل ذلك» (أف ٥: ٢٧).

لقد توفرت في يوناثان كل صفات الرجولة، كان رجلاً محاربًا ماهرًا وشجاعًا ومع ذلك كان في غاية الرقة والإحساس. ومن عادة الكثيرين أن يبالغوا في تقدير الصفات التي يتميز بها الرجال كالقوة والشجاعة والصبر والاحتمال. وتحقير الصفات الرقيقة التي تتميز بها النساء، ولكن يجب أن ندرك أن كل رجل حقيقي يجب أن تتوافر فيه بعض صفات الإحساس الرقيق الأمر الذي كان متوفرًا في ابن الإنسان المثالى، الرب يسوع المسيح، الذي كان متجانسًا في كل صفاته. ونحن يجب أن يكون فينا القوة واللطف، والشجاعة والعطف، ما يشبه البلوطة وما يشبه الكرمة، ويقول داود في مرثاة يوناثان عند موته «قد تضايقت عليك يا أخي يوناثان كنت حلوًا لي جدًا، محبتك لي أعجب من محبة النساء» (٢صم ١: ٢٦). ونحن نحكم على الشخص من أصدقائه، فأى رجل أحبه داود لابد أن يكون قد توفرت فيه الكثير من الصفات البارزة في داود نفسه، ومن هذه

الصفات روح التقوى فيما قاله لحامل سلاحه الذي كان يرافقه عند مهاجمته الفلسطينيين «ليس للرب مانع عن أن يخلص بالكثير أو بالقليل»، وعندما كان واقفًا بجانب أبيه على منحدر الجبل يتطلع إلى الغلام داود نازلاً لقتل جليات واحراز نصرة عظيمة لإسرائيل كان يرى يد الله تصنع خلاصًا عظيمًا لجميع إسرائيل (١صم ١٩: ٥).

كانت المحبة التي نشأت بين داود ويوناثان من عمل نعمة الله التي تؤلف بين قلوب المؤمنين الحقيقيين وتضع فيهم قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة وهذه المحبة مصدرها الاشتراك في روح المسيح الواحد. وعندما كاد الصديقان أن يفترقا والأمل ضعيف في أن يتلاقيا مرة أخرى ويستمتعا بالحديث العذب مع بعضهما نرى يوناثان يعزى نفسه بأن كل الأمور مرتبة من العناية الإلهية وبأن الرب سيكون بينهما «الرب يكون بيني وبينك وبين نسلي ونسلك إلى الأبد» (١صم ٢٠: ٤٢). بيني وبينك ليس باعتبار أن الرب يفصل بينهما بل باعتبار أنه يتحدهما ويربطهما معًا كما تربطنا المحيطات بالأرض البعيدة. لذلك فمهما ابتعدنا عن أحبائنا فنحن قريبون منهم في الله الذي نقف جميعًا في حضرته.

وعندما التقى الصديقان سرًا في المقابلة الأخيرة قام يوناثان وذهب إلى داود وشدد يده بالله (١صم ٢٣: ١٦) لعل قلوبنا تستطيع أن تدرك معنى التشجيع المقدس الذي انسكب من تلك النفس النبيلة إلى قلب صديقه داود.

لم يكن رضا شاول على داود يستمر إذ استثيرت غيرته بأغاني النساء اللاعبات اللاتى قلن «قتل شاول ألوفه وداود ربواته»، وقال

شاول وقتئذ ماذا بقى بعد إلا أن يأخذ داود المملكة وحمى غضبه، وكان حين حمى غضبه أنه بغته روح ردئ من قبل الرب، وأثار الروح الردئ في شاول روح الكراهية ضد داود وحاول أن يقتله بالرمح وابتدأ عندئذ يشعر بالخوف من داود لأنه عرف أن الرب كان معه. نجا داود بالتحول بعيدًا عن مرمى الرمح. وحاول شاول أن يقتل داود بطريقة أخرى بأن وعد أن يعطي داود ابنته الكبرى ميرب إذا حارب داود حروب الرب ولكن سرعان ما نسى وعده وأعطيت ميرب لعدرئيل الحولى، أما ميكال ابنته الصغرى التي أحبت داود فقد وعد شاول بأن يعطيها له بمئة غلفة من الفلسطينيين أي قتل مئة فلسطيني. وكان غرض شاول أن يقتل داود في هذه المهمة، ولكن نجح داود في قتل الفلسطينيين وأحضر لشاول مئتى غلفة من الفلسطينيين. كان غرض الشيطان من ذلك هو محاولة التخلص من الذي من صلبه سيأتى النسل الموعود به الفادى والمخلص. لكن الرب حفظ داود. لقد كان مسيح الرب محفوظًا في يدي الرب نفسه. لقد جعل شاول داود رئيس ألف من الجنود وهذا أعطي لداود الفرصة لكي يختلط بالشعب أكثر ويصبح محبوبًا منهم، وكان الرب يساعد داود في كل شيء وكان بذلك رجلاً ناجحًا. ولم يكن شاول يشعر بالسلام لأنه لم يكن متوكلاً على الرب «ذو الرأى الممكن تحفظه سالمًا سالمًا لأنه عليك متوكل» (اش ٢٦: ٣).

اقتربت الآن أيام آلام داود ونفيه التي حاول فيها شاول قتله ولم يكن في عدم إيمانه يعرف أن داود محفوظ بعناية الله لكي يملك على شعب إسرائيل.

الأصحاح التاسع عشر

نرى الآن شاول ينحدر من رديء إلى أردأ. حاول في البداءة أن يطعن داود بالرمح، كما حاول أن يجعله يُقتل بواسطة الفلسطينيين وها هو يطلب علنًا من ابنه وعبيده أن يقتلوا داود، لكن يوناثان المحب حذر داود وخبأه كما أقنع والده بعدم قتله، وأقسم شاول قسمًا أن داود لا يقتل، وهكذا نرى يوناثان صانع سلام من المكتوب عنهم «طوبى لصانعي السلام لأنهم أبناء الله يدعون» (مت ٥: ٩).

استمر داود في انتصاراته، وأثارت هذه الانتصارات حسد شاول ولذلك حاول أن يقتله مرة أخرى بالرمح الذي استقر في الحائط، وكان هذا بتأثير الروح الرديء الذي بغته وحدث هذا ثلاث مرات، وكان بسماح من الله (١٨: ١٠، ١١ ؛ ١٩: ٩، ١٠).

ونجا داود إلى بيته حيث توجد زوجته ميكال حيث حذرته من الخطر المحدق به، وأنزلته من الكوة، وكان الذين يريدون قتله يراقبون البيت، ويعطينا مزمور ٥٩ نورًا جميلاً لهذا الوقت من تاريخ داود. ومن عنوان المزمور نعرف أن داود نظم هذا المزمور عندما اكتشف مكيدة شاول والرسل الذين أرسلهم ليراقبوا البيت. كانت تلك اللحظات مفعمة بالخطر لكن لم يفلت من فم داود أي تعبير عن

الاضطراب أو الانزعاج. بل نطق ببعض العبارات التي فيها يطلب من الله أن يتدخل بالدينونة على الأعداء ليس لأنهم يقاومونه هو شخصيًا بل لأنهم يرفضون مشورة الله من جهة الملك الحقيقي. وبينما كان رسل شاول يدورون حول البيت لاقتناص فريستهم نراه بدلاً من الإحساس بالخوف يتوقع بكل ثقة هزيمتهم وخيبتهم. وفى تعبيره عن فرحه بقوة الرب ورحمته يقول «أما أنا فأغنى بقوتك وأرنم بالغداة برحمتك.. يا قوتى لك أرنم لأن الله ملجأى إله رحمتى»، كما أننا نجد في محاولات قتل داود رمزًا جميلاً لما كان عتيدًاأ أن يحدث لربنا يسوع المسيح له المجد.

ونزول داود من الكوة هو نفس الأمر الذي حدث للرسول بولس في دمشق (أع ٩: ٢٠-٢٥)، لم يكن من الحكمة على كليهما أن يبقيا في البيت لأنه مكتوب «لا تجرب الرب إلهك».

وكانت ميكال زوجة داود تمتلك ترافيم وهى من متعلقات الوثنية وكان يعبدها الوثنيون، وكان الرب يمنع وجودها ولكنها كانت تستعمل سرًا، وضعت ميكال الترافيم في فراش داود ووضعت لبدة المعزى تحت رأسه لكي يبدو الشعر الطويل المتهدل وكأنه رأس داود، وغطته وقالت إنه مريض، وحين اكتشفت الخدعة قالت إن داود هددها بالقتل. وتسجيل المكتوب لهذه الأكاذيب دليل على صحة الكتاب المقدس لأنه يقول الحق ولا يخفى شيئًا منه.

كانت الخطة التي وضعتها ميكال هدفها كسب الوقت حتى يكون داود قد هرب لحياته لكن لجوءها للكذب لا يعفيها من الدينونة ويدل

على أنها لم يكن لها روح التقوى التي ظهرت في يوناثان وهو يخاطب أباه بخصوص داود.

هرب داود إلى صموئيل الذي كان له مدرسة للأنبياء في نايوت الرامة، وكانت مدارس الأنبياء يقودها الأنبياء المختبرون لتعطى الذين يدعوهم الرب للنبوة تدريبًا يزيد نموهم الروحي وأساس التدريب دراسة الناموس.

ومن السهل أن نستنتج الدافع لهروب داود إلى صموئيل في الرامة، فإنه في يوم الشدة والضيق تصبح الشركة مع شخص له نفس الروح ذات حلاوة مضاعفة.

كانت مهمة صموئيل الأساسية قد انتهت بمسح شاول رجل اختيار الشعب، وداود الرجل الذي بحسب قلب الله وبذلك قد انتهت خدمته العلنية، ومن ثم كان يحيا في صمت هادئ وتدريب للأنبياء الصغار في اعتزال مدينة الرامة الهادئ غير أن إنسانًا فرضت عليه عيشة العزلة والهدوء، لم يكف بالضرورة أن يكون ذا قيمة لاخوته. ذلك أن خدمة الشفاعة مفتوح بابها على مصراعيه لكل من يرغب، وهكذا كرس النبي صموئيل حياته إلى نهايتها في هذه الخدمة «حاشا لي أن أخطئ إلى الرب فأكف عن الصلاة من أجلكم».

ألا أيها الاخوة الشيوخ، الاخوة العجزة، الإخوة المسجونون تشجعوا، فلئن عجزتم دون الركض في عمل الرب تستطيعون رغم ذلك أن تخدموا شعب الله عند عرش النعمة، وهوذا بولس في سجنه الرومانى لم يكف عن الشكر من أجل إخوته في أفسس ذاكرًا إياهم في

صلواته، ولاخوته في فيلبى. في كل أدعيته مقدمًا الطلبة لأجل جميعهم بفرح، وكذلك كان يصلى بانتظام للمؤمنين في كولوسى وفى أماكن أخرى ممن يعرفهم ومن لم يعرفهم، ولما حُرم أبفراس من خدمته جاهد في الصلوات من أجل إخوته لكي يثبتوا كاملين وممتلئين في كل مشيئة الله (كو ٤: ١٢).

عاش صموئيل أيضًا ليأوى إليه داود من اضطهاد عدوه الخطير ولذلك نقرأ «فهرب داود ونجا وجاء إلى صموئيل في الرامة وأخبره بكل ما عمل به شاول». ولكن ما عساه يستطيع أن يفعله رجل عجوز لداود في محبته؟ بادر شاول وحرك قواته. فإنه كان في ذلك الوقت تحت سيطرة إبليس بحيث لم يعد بين جوانحه ذلك الاحترام لصموئيل ومن ثم أراد أن يهاجم بيته وهناك يمزق داود. لكن قوة الله كانت مع عبده الشيخ، الأمر الذي تحققه شاول بطريقة عجيبة، وكان قد أرسل ثلاثة فرق من الرسل، أرسلهم مسلحين بدون شك، للقبض على داود، ولكن بعد مجيئهم وإذ كانوا على مدى البصر من صموئيل وجماعة أنبيائه المتتلمذين حلت عليهم قوة الله حتى أنهم تنبأوا بين الأنبياء، وهذا يذكرنا بأخزيا في ثورته على إيليا (٢مل ١) فهو بدوره أرسل إلى النبي ثلاث فرق. لكن رئيس الخمسين الثالث تواضع أمام قوة الله التي كان يستخدمها إيليا وتوسل من أجل حياته. وفي أيام شاول كانت الأمور إلى أردأ لأن فرقته كانت مصرة على إتمام عمل سيدها الشرير نظير الفرقتين الأولين. ومن الخطير أن يذهب شاول نفسه، واثقًا أنه سيكون من القوة بحيث يستطيع أن يقاوم التأثير المقدس الذي

انحني تحته رسله أجمعون، قرر أن يحارب الله، يا له من مخدوع أعمى! ضلل به الشيطان. والواقع أن هذا الرجل التاعس صورة ناطقة لملك الأيام الأخيرة (دا ١١: ٣٦) الذي يملك في أورشليم في فترة الضيقة العظيمة.

هوذا الملك الغاضب يجئ إلى «البئر العظيمة التي عند سيخو» باحثًا عن صموئيل وداود، هل يريد أن يقتل النبي وصهره معًا؟ هذا ليس واضحًا، لكن المحقق أنه أصبح على مدى الرؤية من صموئيل وداود ونية القتل في قلبه وعندئذ باغتته قوة روح الله الشديدة وظل مطروحًا على الأرض ذلك النهار كله وكل الليل عاجزًا عن إتمام ما أراد، وعريانًا من ثيابه الخارجية. وبحق قال الشاهدون. ربما في سخرية وتهكم وهم على دراية بأخلاق هذا الرجل «أشاول أيضًا بين الأنبيا». إن للروح أعمال قوة متنوعة يمكن أن تكون في الانسان بدون أن يكون مولودًا من الله. وإذ ذاك يزداد شرًا ولا يمكن أن يتوب لأن دينونته صارت مؤكدة. (انظر عب ٦: ٤-٨).

«كيف سقط الجبابرة». في الرامة نشهد الملك مطروحًا أمام قوة الله، وفي عين دور ساقطًا على الأرض في بيت عرافة، وعلى جبل جلبوع مطروحًا جثة هامدة في ساحة الحرب، ما أتعسها عاقبة لحياة شقية، حياة بدأت تاريخها وفي متناولها كل امتياز يمكن لله الطيب أن يمنحه.

إن الاختبار العجيب الذي نتصوره الآن في نايوت الرامة ينطلق منه صوت عال لشاول وداود، فقد تيقن منه داود أنه وإن كانت أمامه

في الطرق سنوات من الهروب أمام عدوه، فلن تستطيع قوة المخلوق أن تؤذيه لأن الرب كان معه، وأما شاول فقد كان في إمكانه أن يعود إلى داره مقتنعًا بعدم جدوى مقاومته الله، لكن الجسد، من أسف، لن يتعلم الدرس الإلهي، لكن شاولاً آخر أطاع صوت الرب محدثًا إياه من السماء ولبركته الأبدية (أع ٢٢) طوبى له، شاول الطرسوسى.

لقد وقعت قرعتنا في يوم حضور الروح القدس على الأرض بصفة شخصية والكنيسة مسكنه، ومن هناك يواصل عمله الكريم لبركة الناس. على أن قوة الشيطان ضد عمل الروح القدس، لكننا لا نخاف شيئًا فإن الذي حطم شاول العهد القديم والذي كسر شاول العهد الجديد وغيره لا يزال قادرًا أن يتصدى لكل شيء من أشكال العداء الشيطاني لعمل الله! إن إلهنا بكل يقين لا يعرف الهزيمة!

الأصحاح العشرون

كانت التجارب التي صادفت داود تعده للمستقبل، وبنفس الطريقة يتعامل الله مع أولئك الذين يعدهم للمجد.

كان ليوناثان تأثير عظيم على أبيه، فإن شاول لم يكن يعمل أمـــرًا كبيرًا أو صغيرًا إلا ويخبر به ابنه يوناثان (١صـــم ٢٠: ٢:) وكـــان يوناثان من أجل محبته لأبيه ومحبته لداود شديد الرغبـــة فـــي عقـــد مصالحة بين من كان يدين له بالولاء كابن وكأحد رعاياه وبـــين داود الذي أحبه كنفسه، وكان في يقين أنه سوف يملك على إسرائيل. كان يوناثان على الأرجح يكبر داود بسنين كثيرة، لكن محبته النقية التـــي كانت تملأ صدره لم تعقها هذه السنون، لقد تحدث مع أبيه أكثر مـــن مرة عن داود محاولاً التأثير لكي يحلف له بأن لا يقتله حتى أنه عندما عاد داود من نايوت تاركًا شاول تحت تأثير النبوة بين الأنبياء وسأل يوناثان «ماذا عملت وما هو إثمي وما هي خطيتي أمام أبيـــك حتـــى يطلب نفسي» ويضمر لي هذه العداوة المميتة مؤكدًا له أنه كخطـــوة بينه وبين الموت. لم يتردد يوناثان في أن يؤكد له استعداده لإتمـــام كل ما تشتهيه نفسه «مهما تقل نفسك أفعله لك» (ع ١-٤).

وفى المساء السابق لعيد رأس الشهر دعا شاول رؤساء مملكته إلى الوليمة. اتفق الصديقان أن هذه فرصة سانحة لمعرفة شعور شاول الحقيقي، فاقترح داود أن يتخلف من الوليمة الملكية وعوضًا عن ذلك يزور بيت أبيه في بيت لحم، كان ميسورًا له أن يفعل ذلك ويعود في اليوم التالى وفى الوقت يجس يوناثان نبض أبيه ويلاحظ لهجة كلامه ويعرف شعوره نحو داود إن كان للخير أو للشر.

أبرمت الخطة داخل جدران القصر ولكن كانت هناك بعض أسرار يتبادلانها بأكثر حرية، أحاديث يتجاذبانها ويسكبان فيها قلبيهما، عهد يقطعانه بين بعضهما، وسائل للتفاهم ترتب في الخفاء ولذلك وجدا من الأنسب أن يتما الحديث في الخلاء حتى لا تشهد الدموع السخينة في البكاء إلا الغابات الجامدة التي لا قبل لها على نقل أي حديث. كان هناك فعلاً شاهد آخر لأن يوناثان كان ممتلئًا بالتقوى وكان من عادته أن يعيش في حضرة إله إسرائيل، ولذلك فقد أشهد الله عليه عندما فتح قلبه لصديقه وتوسل إليه أن يعامله بالحق والأمانة وأن لا ينسى حقوق الصداقة ولا يقطع معروفه عن بيته عندما يقطع الرب أعداء داود جميعًا من وجه الأرض في المستقبل (ع ١٢: ١٥).

كان يوناثان نبيلاً وقويًا في الثغرة التي كانت بين شاول وداود إذ لم يكن بالأمر الهين ما تعهده يوناثان إذ كان مستعدًا لثورة ابيه التي كان يتوقعها بعد احتجاجه الجرئ من أجل صديقه المتغيب.

لاحظ شاول في اليوم التالى غياب داود وتساءل عن السبب وفى الحال قدم يوناثان الإجابة السابق الاتفاق عليها وأضاف إلى ذلك أنه

هو شخصيًا اعطاه إذنًا بذلك وكان هذا سببًا في انفجار بركان غضب شاول على يوناثان، إذ نراه يشير إشارة لاذعة لأم يوناثان، وهي زوجته، كسبب لتمرد ابنه، ويوجه تعبيرات قصد بها أن يفرغ في قلب ابنه نفس السم الذي كان يملأ قلبه هو شخصيًا. ولكن يوناثان قام عن المائدة بحمو غضب.

ولاشك أنه مما يستحق المدح ما سجله الروح القدس عن مشاعره أمام توبيخ شاول له، فهو لم يحزن بسبب ما أصابه شخصيًا لكنه «اغتم على داود لأن أباه قد أخزاه» (١صم٢٠: ٣٤). وهذه هي المشاعر التي تسود على أولاد الله، فأى واحد منهم مهما كانت حالته يحب الرب يسوع من صميم قلبه، ويحبه أكثر من نفسه حتى لو وصل الأمر إلى الاضطهاد.

وعلم يوناثان أن أباه عازم على قتل داود ورمى السهم كما لو كان متفقًا عليه مع داود وجاوز السهم الغلام وفهم منه الخطر المحدق بداود وسقط داود إلى الأرض على وجهه وسجد ثلاث مرات وقبّل كل منهما صاحبه وبكى كل منهما على صاحبه حتى زاد داود. لم يكن هناك ما يدعو يوناثان أن يوضح الأمر فإن داود علم أن الرب قد أطلقه. وكان قول يوناثان «السهم دونك فصاعدًا»» يعنى أنه قد أتم الواجب ودافع عن قضية داود ولكن عبثًا فإن انطلاق السهام يدل على أنه يجب أن ينطلق حيثما شاء.

كان الغلام يعتقد أن الأمير يلهو فهو لم يكن في استطاعته أن يتكهن بغرض سيده وبالأولى لم يكن في استطاعته أن يدرك أن كل

سهم يطير إنما هو مأخوذ بترتيب الله وأنه لا مجال للصدفة في حياة المؤمن. إن العناية الإلهية تتدخل حتى في أتفه الأشياء ولنتيقن أن وراء كل سهم يطير قصدًا ساميًا تسنده محبة أبينا السماوي.

وأخيرًا قال يوناثان لداود «اذهب بسلام لأننا كلينا قد حلفنا باسم الرب قائلين الرب يكون بيني وبينك وبين نسلي ونسلك إلى الأبد».

تصرف يوناثان بالإيمان والمحبة لأنه عرف يقينًا أن أباه مرفوض من المملكة بحكم الله، وأن داود مزمع أن يصير ملكًا يومًا ما. فقبل ذلك من الله غير مفتكر في مجد ذاته.

وهكذا يفترق الصديقان داود ويوناثان، ويمثل يوناثان أولئك الذين يحبون داود ولكنهم يلتصقون بشاول، الذين يحبون المسيح لكنهم يخشون الاعتراف به واتباعه من كل القلب، ولذلك فلابد أن يحين الوقت ليفترق هذا عن ذاك. وقد مضى يوناثان إلى حيث الكرامة في هذه الحياة لكن من هناك إلى الموت أخيرًا فوق جبل جلبوع أما داود فقد مضى إلى الآلام والرفض ثم إلى اعتلاء عرش الملك، وهذا هو نفسه طريقنا ونحن نتبع المسيح «إن كنا نصبر فسنملك أيضًا معه».

الأصحاح الحادي والعشرون

نرى هنا بداية تيهان داود وهو منفى، وفى مدة نفيه كتب عددًا من المزامير النبوية التي وإن كانت تطابق اختباره إلى حد ما، إلا أن انطباقها الكامل هو على الملك الحقيقي ربنا يسوع المسيح له المجد. تُذكر آلامه والأمجاد التي بعدها. كما ويمكن تطبيقها أيضًا على البقية التقية في آلامها التي سوف تؤمن بالمسيح بعد اختطاف الكنيسة.

وفى هذا نرى أن السير مع الله ليس أمرًا هينًا، فما أضيق الباب وما أكرب الطريق. والهواء حول قمم الجبال حيث الشركة الإلهية يندر وجوده ويصعب استنشاقه حيث تعيا الأقدام البشرية بعد قليل من السير معه. ويميل العيان إلى التوقف عن متابعة السير معه، هذا ما اختبره داود بعد فترة أليمة مرت عليه، وكانت العلامة على ضعفه ما قاله ليوناثان أنه كخطوة بينه وبين الموت (١صم ٢٠: ٣)، كان إيمانه بدأ يضعف لأن الله سبق أن أكد له تأكيدًا لا يدعو سبيلاً للشك بأنه لابد أن يجلس على عرش الملك، نظر إلى الله في ظلمة الظروف الحالكة التي كانت تنذر بالخطر، نظر إليه بالعين المجردة وليس في ضوء معونة القدير، كان رمح شاول يلاشى من عقله ذكريات الساعة التي اقتبل فيها مسحة الدهن من يد صموئيل، ومن هذا نتعلم أنه ليس

كافيًا أن ننال هذه المسحة بل ينبغي أن نزيل كل العوائق التي تعمل على عدم الامتلاء بالروح القدس إذ عندما نمتلئ بالروح تصبح تصرفاتنا وأقوالنا تحت تصرف الروح (أف ٥ ؛ ١يو ٣: ٢٤).

أما الخطوة الثانية فإنه التجأ إلى الخداع والمواربة الأمر الذي لا يليق ولا يتفق مع صديقه الأعظم ربه وإلهه، إن الله نور وعلى الذين يريدون أن يسلكوا معه أن يخلعوا أعمال الظلمة ويلبسوا أسلحة النور ويسلكوا كأبناء نهار.

ويظهر صدق كلمة الله في عدم إخفاء الأخطاء التي انزلق إليها أشخاص مشهود لهم بالتقوى مثل داود. وهنا نرى رجل الإيمان يسقط في خطية عدم الإيمان في قدرة الله على أن يحفظه، ولجأ إلى الخداع لينجي نفسه. لكن ما أبعد الفرق بين داود وذاك الذي عُرف عنه أنه ابن داود حسب الجسد «الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر. الذي إذ شتم لم يكن يشتم عوضًا» (١بط ٢: ٢٢، ٢٣).

ونرى رداءة تصرف داود في مساء اليوم السابق للسبت ووصل داود ومعه جماعة من أتباعه إلى مدينة نوب الصغيرة الواقعة بين الجبال والتي تبعد عن جبعة نحو خمسة أميال إلى الجنوب وهي في موقع منعزل بعيد عن الطرق التجارية يتناسب مع أخلاق سكانه الذين كانوا يهتمون بخدمة الأقداس، كان يسكن هذه المدينة ستة وثمانون شخصًا ممن يلبسون ملابس الكهنة أفودًا من كتان ويعيشون حياة هادئة مع زوجاتهم وأولادهم ولهم كفايتهم من ثيرانهم وغنمهم، ولم يكن في موقعهم ما يدفع أضعف الجنود على غزوهم، ولم تكن لديهم أسلحة سوى

سيف جليات الذي كان قد أودع هناك منذ بضع سنوات كعلامة لنصـــرة بطل إسرائيل داود، ولعل الاجتماعات العظيمة السنوية التي كانت تُقـــام في تلك المدينة قد أُبطلت، ولم يعد يتردد عليها سوى الزائرون بين حين وحين كدواغ الأدومى والذين يأتون لإيفـــاء نـــذورهم وليتطهـــروا مـــن نجاساتهم حسب وصايا الناموس، من هذا يتضح أنه لم يكن هناك استعداد لإطعام عدد كبير لأن نصيب الكهنة الضئيل كان بالكاد يكفيهم، وإذا مـــا نزل عليهم ضيفان أو ثلاثة شعروا بشيء من الضيق.

حين تقدم داود إلى أخيمالك الكاهن اضطربت نفس الكاهن وكـــان لابد لداود أن يجيب على الأسئلة التي وجهها إليه لكي يزيل من نفسه الشكوك، وهذا ما حاول داود أن يفعله إذ قدم حديثه الذي يتضمن أن سيده الملك قد أوفده في مأمورية عاجلة، وأوهم أخيمالك أن مأموريته هذه كلفته السير ثلاثة أيام هو ومن معه وأنها سرية لا يصلح أن يبوح بها لأحد، وأن هناك حامية كبيرة تنتظر عن بُعد، وبينما هو يفعل ذلك هزت قلبه رعشة عنيفة إذ رأى وجه دواغ الأدومى رئيس رماة شاول لأنه أدرك أن تفاصيل الرواية سوف تنقل إلى شاول، وملأ الخـــوف قلبه من جهة أخيمالك ومن نحو نفسه وحالما انتهت خدمة السبت ترك المكان فورًا.

ومعنى اسم دواغ «المخيف» وهو أدومى المولد وتجـــرى فـــي دماه العداوة القديمة لشعب إسرائيل. وربما يكون قـــد ذهـــب إلـــى الكاهن ليتطهر من بعض الدنس أو ليفى نذرًا. وقد قيل عنـــه إنـــه كان محصورًا أمام الرب، فقد كان وجوده هناك رغمًا عنه. وكان

من الأنسب له أن يوجد في مكان آخر غير هذا المكان. وقد خان دواغ داود وأخيمالك. وكثيرًا ما يوجد في مقادس الله ذئاب في صورة حملان.

كان في نوب أخيمالك بن أخيطوب حفيد عالي الكاهن ومعنى اسمه أخي ملك، ويشير الرب يسوع له المجد في مرقس ٢ إلى تلك الحادثة ويذكر أن داود «دخل بيت الله في أيام أبياثار رئيس الكهنة..» ومن ذلك نعلم أن أبياثار كان رئيس الكهنة في ذلك الوقت.

أعطى أخيمالك خبز التقدمة لداود وكان خبز التقدمة أي خبز الوجوه يوضع أمام الرب ثم يرفع كل سبت ليوضع خبز طازج بدله. ولم يحل أكله إلا للكهنة فقط (خر ٢٥: ٣٠ ؛ لا ٢٤: ٥-٩ ؛ مت ١٢: ٣، ٤).

وأشار الرب يسوع له المجد إلى ذلك العمل حين احتج الفريسيون على أكل التلاميذ سنابل القمح في السبت حين جاعوا وذلك لأن السبت جعل للإنسان وراحته وليس الإنسان للسبت.

وحفظ حياة مسيح الرب أهم من المحافظة على تلك الطقوس التي ألغيت عمليًا بسبب سوء حالة إسرائيل. فأصاب داود بما عمل، وصادق الرب على عمله غير أن الوحي لم يذكر كلام داود غير الصحيح لكي يصادق عليه.

كما سأل أخيمالك داود عما إذا كان هو ورجاله طاهرين حتى يستطيعوا أن ياكلوا من خبز التقدمة (لا ١٥: ١٢) فأجاب داود أنهم طاهرون ولذلك أعطاه أخيمالك هذا الخبز.

لقد أبطل الرب يسوع هذا الطقس الذي كان لدى اليهـود ليعطـي الشعب فرحة الشركة مع شخصه لأن خبز التقدمة يتكلم عن الخبـز الحقيقي. الرب يسوع له المجد، ويعطى الرب لنا هذا الخبز لتعضيدنا في الطريق.

لم يكن مع داود سيف أو سلاح فطلب من أخيمالك رمحًا أو سيفًا فأعطاه سيف جليات الفلسطينى. وفي ذلك نرى أن ما نكرسـه لله لا نفقده، وما نقدمه له لن نخسره. فسيف جليات الذي قدمه داود للرب الذي أعطاه الانتصار على العدو قد عاد إليه الآن إذ كان فـي أشـد الاحتياج إليه. وكان وجود هذا السيف مع داود لإيمانه فـي أقسـى الظروف. فكلما نظر إليه تذكر كيف أعطاه الرب القوة علـى ذلـك الفلسطيني الذي عير صفوف الله الحى. إن معاملات الرب السـابقة معنا هي خير مشجع لنا في الحاضر.

وركض داود بكل قوته في الاتجاه الجنوبى إلـى أن عبـر وادى البطم الذي حاز فيه النصرة على جليات. وكانت على بعـد عشـرة أميال من هذا الوادى تقع مدينة الفلسطينيين المتكبرة «جـت» التـي أرسلت في ذلك الوقت بطلها المتعجرف جليات، ولـذلك عـزم داود على دخول جت وكان خطر وجوده في جت أقل من الخطـر الـذي يترتب على البقاء في أرض إسرائيل. ظن أن الفلسطينيين لا يزالون ينظرون إليه كغلام يرعى الغنم ولكن مجرد دخوله جت تم في الحال معرفة شخصيته، وابتدأ يعلو وجهه الخوف والفزع وتذكر عبيد أخيش ملك جت الأغنية التي ترنمت بها النساء اللاعبات «قتل شاول ألوفـه

وداود ربواته» فهو إذن الذي تلطخت يداه بدماء الفلسطينيين. أدرك داود الخطر المحدق به وأراد أن ينجي نفسه بالانحدار إلى الغش والكذب حيث تظاهر بالجنون وصار يخربش على مصاريع الباب ويسيل ريقه، ولا شك أن هذا التصرف كان مزريا له. كان ينبغي أن يكون له الإيمان أن الله سوف ينجيه بدون هذا التصرف.

وحين نقرأ مزمور ٥٦ مزمور الحمامة البكماء حيث نرى كلمات المزمور أنه وراء الكثير من العبارات والأشياء المحتقرة والمزدرى بها روح تشتاق حنيناً إلى الله والثقة فيه والاتكال عليه. كما نرى ما يعبر عن الفرح الذي يملأ قلب المرنم إذ يذكر ما سوف يتمتع به عندما يسير أمام الله في نور الأحياء، كان يعتبر نفسه كحمامة وحيدة وسط أعداء كثيرين يحاولون افتراسه وابتلاعه ومع ذلك كان له الإيمان المعتمد على الله، كان يقارن بين قوة الإنسان الجسدية وقدرة الله الفائقة وهكذا كان يرتفع فوق الأمواج المتلاطمة. ونستطيع أن نرى إيمانه في كلماته «على الله توكلت فلا أخاف ماذا يصنعه بي البشر».

ولما انطلق داود ونجا بحياته صار قلبه يرقص طربًا وطفق يرنم ويسبح الرب وهذا هو موضوع الكلمات التي تغنى بها في مزمور ٣٤.

الأصحاح الثاني والعشرون

غادر داود جت بقلب ممتلئ بالشكر من أجل مراحم الله التي أنقذت حياته. أسرع في عبور الحدود ثانية، ووجد نفسه مرة ثانية في مملكة شاول، وأدرك أن حياته في خطر شديد ولم يكن هناك بديل من أن يهرب إلى جبال اليهودية حيث كان ملمًا بها إذ كان يرعى غنمه فيها. وعلى بعد ميلين من جت حيث توجد في وادى البطم ناحية مكتظة بالمغاير تقع إحداها بقرب مدينة عدلام الكنعانية القديمة ولذلك سُميت باسمها. اختبأ داود زمانًا طويلاً في هذه المغارة، وإلى هذه المغارة هربت عائلته بأسرها إذ كانت تخشى بطش شاول، وإليها أيضًا التجأ كل رجل متضايق وكل من عليه دين وكل رجل مر النفس فكان عليهم رئيسًا. وجدوا في داود ما يخفف عنهم فانجذبوا إليه ولصقوا به. وفي وجود هؤلاء الأشخاص حول داود الملك المرفوض نرى رمزًا يشير إلى ربنا يسوع المسيح له المجد الذي في الإمكان أن يلجأ إليه الكثيرون فيجدوا راحتهم وشبعهم وفرحهم لا سيما الذين يشعرون أنهم خطاة وتثقل قلوبهم وضمائرهم خطاياهم وعندئذ يجدون فيه راحتهم إذ يجدون غفرانًا لخطاياهم. إن له القدرة والكفاية على مقابلة كل احتياجاتهم، يقابلها في غنى نعمته.

وكان هؤلاء الرجال مع داود خارج المحلة، وهو مكان كل شخص مرتبط بالمسيح. مرفوض من الناس، ولكن له كرامة حمل اسم المسيح، ومكتوب «فلنخرج إليه إذن خارج المحلة حاملين عاره» (عب ١٣: ١٣). والذين يرتبطون به في عاره لابد أن يتذكرهم الرب في مجده «إن كنا نصبر فسنملك أيضًا معه»، وداود في هذا رمز لشخصه البارك إذ أن الذين ارتبطوا بداود الآن كان لهم شرف شغل مراكز كبيرة في مملكته.

وكتب داود مزمور ٣٤، ويشير فيه إلى مغارة عدلام وأيضًا مزمور ٥٧، كما نجد صلاة له في مزمور ١٤٢ وتم استجابتها بأن أرسل إليه الرب هؤلاء الرجال الأربعمائة. وتبدأ هذه الصلاة بصراخ «بصوتى إلى الرب أصرخ. بصوتى إلى الرب أتضرع» (ع ١) وتنتهى بالشكر «الصديقون يكتنفوننى لأنك تحسن إلى» (ع ٧).

ونرى هنا أيضًا محبة داود البنوية لأبيه وأمه، تلك المحبة التي دفعته لعبور تلك المسافة الطويلة من عدلام إلى موآب للبحث عن مكان أمين يأوى إليه أباه وأمه إذ كان سنهما لا يسمح لهما بتحمل مشقات وأخطار المعيشة التي كان يحياها داود. وقبله ملك موآب ربما لأجل صلة القرابة الجسدية، فجدته هي راعوث الموآبية.

وحين لجأ داود إلى موآب لم يكن هذا في فكر الرب ولا شك أنه فعل هذا في عدم إيمان فقد تركت جدته لأبيه – راعوث – أرض موآب موطنها الأصلى وذهبت لتعيش في أرض إسرائيل. لكننا نرى هنا حفيدها يترك الأرض المقدسة ليتغرب في أرض موآب. كان

يجب أن يتعلم الصبر لأن الضيق ينشيء صبرًا والصبر تزكية أي اختبارًا، وأرسل إليه الرب جاد النبي ليقول له إنه يجب أن يترك الحصن ويدخل أرض يهوذا، وكان جاد النبي وناثان النبي لديهما الشجاعة ليقولا لداود ما يريانه أنه خطأ وهذا يرينا أنه في كل ضيقات داود وفشله فإن الرب لم يتركه اذ تابعه بمحبته، لم يكن داود في يد شاول ولكن في يد الرب، وهذا هو نصيبنا وهذه هي قرعتنا. وقد قال داود مرة «تيهاني راقبت» (مز ٥٦: ٨).

ويرد ذكر جاد النبي هنا للمرة الأولى. وبعد ارتقاء داود العرش صار جاد رائيًا للملك (٢صم ٢٤: ١١). وقد أرسل إلى داود ليوبخه على خطية عد الشعب. وبعد موت داود كتب تاريخ مملكته (١أخ ٢٩: ٢٩). ويتضح من ٢ أخبار ٢٩: ٢٥ أنه كان مهتمًا بترتيب خدمة الهيكل.

كان أليآب أخو داود الأكبر وبقية اخوته معه ولم يكن يؤمن أن الله سوف يساعد داود، ولكن ها هو الآن يخرج معه منفيًا بعيدًا. وداود في هذا صورة لربنا يسوع المسيح الذي لم يكن إخوته يؤمنون به ولكن بعد الصليب وارتفاعه إلى المجد آمنوا به، ونراهم مع النساء في سفر الأعمال يشتركون في الصلاة.

وسمع شاول أنه قد اشتهر داود والرجال الذين معه. وتكدر شاول من الأخبار الواردة من جهة داود والذين معه. نعم كانوا جيشًا صغيرًا ومحتقرًا ولكن الرب كان في وسطهم. ويبدو من كلام شاول لعبيده أنه كان ناجحًا في جمع المال وتكثير الأشياء المتعلقة بالنظام

الملكي حيث يتكلم عن رؤساء الألوف ورؤساء المئات والحقول والكروم التي كان يقدر أن يعطيها للذين أحبهم. وحزن على شيء واحد فقط وهو أن داود هارب ومختبئ. ولم يشأ عبيده أن يخبروه أين هو ولكن وجد واحد تبرع بسرور ليخبره بكل شيء وهو دواغ الأدومي المذكور آنفًا، لكنه تحاشى ذكر براءة الكاهن، وروى الرواية بحيث يتبين منها كما لو كان الكاهن وبيته شركاء في الجريمة مع داود. وعبثًا حاول الكاهن إثبات براءته.

استهزأ شاول علانية بحالة داود الحقيرة حيث قال لعبيده الواقفين لديه «هل يعطيكم جميعكم ابن يسى حقولاً أو كرومًا» صحيح أن داود لم يكن له شيء منها. لكن كان من النادر أن يوجد رجل في مثل سعادته في ذلك الحين. إن كلماته الأولى في مزمور ٣٤ هي «أبارك الرب في كل حين. دائمًا تسبيحه في فمى» (ع) إن روح المسيح الذي أوجد فيه (وهو في جت) الأشواق نحو الله من خلال دموعه (مز ٥٦) نراه الآن بعد أن تخلص من كل مخاوفه يتمم فرحه. ولا شك أن داود قد أشرك المنبوذين الذين في مغارة عدلام في فرحه كما فعل أيضًا مع كثيرين غيرهم في ذلك الوقت.

يتبع هذا منظر مرعب إذ أمر شاول بقتل كهنة الرب جميعًا في نوب، وكان هؤلاء الكهنة أحفاد عالي الكاهن، وفى هذا نرى تحقيقًا لقضاء الرب الذي تكلم به إلى عالي الكاهن، ولكن الرب في رحمته أنقذ ولدًا واحدًا هو أبياثار والذي نفذ عملية القتل هو دواغ الأدومى الذي لم يقتل الكهنة فقط وعددهم٨٥ رجلاً لابسي إفود كتان أي

يقومون بخدمة الكهنوت، ولكن النساء والأطفال والرضعان والثيـران والحمير والغنم وكل ما يتعلق بهم، لم يطلب منه شاول ذلك، ولكـن من الناحية الأخرى لم يحاسبه على هذا الدم البـرئ الـذي سـفكه، ونرى هنا قساوة شاول وظلمه فالذى أشفق على العمالقة أبـاد كهنـة الرب بدون رحمة.

وكتب داود مزمور ٥٢ بسبب وشاية دواغ الأدومي، وقـد اغـتم داود جدًا لهذه الإساءة. فأولاد الله يتألمون جدًا إذا وجدوا يومًا أنهـم كانوا مصدر بلية لغيرهم. ولابد أن داود قد تألم بشـدة إذ تـذكر أن الكذب الذي أنزلق إليه كان هو المفجر لهذه الكارثة الدموية.

وما أجمل الكلمات التي قالها داود حين هرب إليه أبياثار ابـن أخيمالـك ولجأ إليه إذ قال له:

(١) **أقـم معـي:** ويمكن تطبيقها على الإقامة في دوائر الشركة، نفـس الشركة التي بين المؤمن والآب والابن وبينه وبين المؤمنين.

(٢) **لا تخـف:** وهى كلمة ترد كثيرًا في المكتوب، ويقولها الرب لنا في مناسبات كثيرة وتعطينا الثقة في محبة الله وقدرته.

(٣) **لأن الذي يطلب نفسي يطلب نفسك:** وهنا نرى ارتبـاط أبياثـار بنفس المصير مع داود. وهو يذكرنا بالرابطـة العجيبـة بـين المؤمنين كأعضاء الجسد وبين المسيح الرأس الممجد في السماء، كما يذكرنا بقول الرب له المجد «أنـا حـي فـأنتم سـتحيون» (يو ١٤: ١٩).

(٤) **لأنك عنـدي محفـوظ:** ونحن أيضًا بقوة الله محروسون لخلاص مستعد أن يعلن في الزمان الأخير (١بط١) محفوظـــون فـــي الزمان وشعرة واحدة من رؤوسنا لا تسقط بـــدون إذن مـــن الآب ومحفوظون لكي نصل إلى بيت الآب لأننا في يد الابـــن ويد الآب.

الأصحاح الثالث والعشرون

نرى داود الآن يجهز للطريق المعد له من الرب، وكان له أتباع حوالي ٦٠٠ رجل، وكان داود معهم يستطيع أن يقدم خدمة لله، لم تكن الخدمة سهلة بل شاقة، كان عليه أن يسير في ذات الدرب العسير الذي سار فيه من بعده ربنا يسوع المسيح له المجد. الذي جرب في كل شيء مثلنا بلا خطية لكي يقدر أن يعين المجربين أمثالنا الذين يسيرون في إثر خطواته.

أخبر داود أن الفلسطينيين يحاربون قعيلة، وهى مدينة ذات أسوار وعلى بعد ستة أميال جنوب مغارة عدلام. وكان الفلسطينيون ينهبون البيادر لأن الوقت كان وقت حصاد فكانوا ينهبون البيادر التي جمعت فيها الحنطة وبهذا يحرمون الشعب من غذائهم. والحنطة تشير إلى المسيح، وهذا ما يفعله أعداء المؤمنين الآن إذ يحاولون حرمان المؤمنين من كلمة الله، الكلمة التي تحوى الحق الخاص بالمسيح ويجعلونهم يشعرون بالجوع والهزال.

أخبروا داود ولم يخبروا شاول ملكهم فإنه من واجباته أن يحامى عن رعيته لكنه لم يشتهر في محاربة الفلسطينيين من الأول للآخر، وكان يفرغ جهده في هذا الوقت لإبادة داود.

عندما ترك داود يهوذا من أجل والديه، ورغم سلامة نيته في هذا التصرف إلا أنه أهمل أول واجباته وأهمها. لكن عندما أخذ الله مكانه الصحيح في حياته نجده يرجع كل شيء إليه «في كل طرقك اعرفه وهو يقوم سبلك» (أم ٣: ٦). ولا شك أن هذا يعتبر الأمر الرئيسي في كل طاعة حقيقية، وهذا هو الدرس الذي تعلمه داود نتيجة سقطته. فبمجرد أن وصل إلى وعر حارث سمع أن الفلسطينيين حاربوا قعيلة ونهبوا البيادر. ولعدم رغبته في تكرار خطئه السابق سأل الرب قائلاً «أأذهب وأضرب هؤلاء الفلسطينيين؟» (اصم ٢٣: ٢). لكن لماذا يستخدم داود السيف ولماذا يقول «مبارك الرب صخرتي الذي يُعلِّم يدي القتال وأصابعي الحرب» (مز ١٤٤:١)، السبب هو أن «الأرض للرب» وتنظيمها يقع على عاتقه. وفي سلطانه المطلق انتخب إسرائيل ليكون مركز الدائرة بين الأمم (تث ٣٢: ٧-٩). لقد مارس الله سلطته الإلهية فيهم في الأرض وسيمارسها مرة أخرى في المستقبل.

سأل داود من الرب عن طريق الأفود التي كانت مع أبياثار الكاهن، سأل داود الرب مرتين، الأولى ليعرف فكره، وقال له الرب اذهب، واضرب، وعاد داود ليسأل الرب مرة أخرى، وكانت هذه المرة ليهدئ روح رجاله الذين كانوا خائفين من الذهاب لمحاربة الفلسطينيين في قعيلة بينما كان الذهاب معه إلى موآب لا يشكل أية صعوبة بالنسبة لهم، أما شاول بن قيس فلم يكن له أي دور في الخلاص، كان داود هو الآلة الوحيدة للخلاص التي استخدمها الرب.

سمع شاول أن داود قد جاء إلى قعيلة، ولم يهتم بما فعله داود من خلاص، كان كل همه الإمساك بداود وقتله، كان على استعداد أن يضحى بقعيلة في طريق خدمة أغراضه، كان شاول يحارب خارج حدوده، كان يحارب الله نفسه، لم يكن يعرف قوة الله في حفظ خدمته، أما داود فكان خاضعًا للرب تمامًا سائرًا طبقًا لمشيئته، وكانت النهاية مؤكدة.

في ذلك الوقت كان أبياثار قد هرب إلى نوب وجاء إلى داود وبيده الأفود. ونلاحظ أن صدرة القضاء التي لا تنفصل عن الأفود كانت تحمل أسماء بنى إسرائيل الاثنى عشر. وحيث أن داود كان مزمعًا أن يتعلم بالاختبارات المريرة طبيعة الشعب الذي كان عليه أن يخدمه، نراه بواسطة الأفود والصدرة يتذكر محبة الرب الثابتة لهم رغم تغير ظروفهم وأحوالهم. ولو رآهم في نور سلوكهم الشخصي لنفر منهم، لكن عندما يراهم بحسب فكر الرب، كما هو ظاهر في هذا الرمز فإن هذا يعمق اهتمامه وميله لهم بينما يستطيع أن يجد الإرشاد الذي يحتاجه بواسطة الأوريم والتميم.

لذلك قال داود لأبياثار «قدم الأفود» وكان صراخه إلى الرب مفعمًا بالخشوع والوقار والغيرة، كان يستغيث بالرب إله إسرائيل لذا سأله «هل ينزل شاول كما سمع عبدك.. فقال الرب ينزل.. هل يسلمني أهل قعيلة مع رجالي ليد شاول. فقال الرب يسلمون» إنه لم يتقدم بأية شكوى ضدهم وهو لا يستطيع أن يشن الحرب على إسرائيل.. على الشعب الذي نقشت أسماؤهم على الصدرة، كما أنه لا

يستطيع أن يضرب سيده مسيح الرب لكن «قام داود ورجاله. وخرجوا من قعيلة وذهبوا حيثما ذهبوا».

ورغم أن الرب استخدم داود ورجاله في تخليص قعيلة من أيدي الفلسطينيين لكن أهل قعيلة الذين كتبت لهم النجاة على يد داود أرادوا به شرًا وفكروا أن يسلموه ليد شاول. لقد كافأوه شرًا بدل خير وقابلوا محبته بالبغضة. وهو في ذلك صورة للرب يسوع المسيح الذي جال يصنع خيرًا ويشفى جميع المتسلط عليهم إبليس لكن قوبلت أعماله بالخسة والجحود.

هرب داود من عدوه مرة أخرى، وأصبح في زيف، لم يفلت من التجربة بجهوده بل بما عمله الرب له، ومعنى زيف «تنقية»، وكانت التنقية ضرورية لداود كما هي ضرورية لكل مختارى الله، من الضروري أن يشتركوا في آلام المسيح لكي يشتركوا في أمجاده وملكوته.

سار الرسول بولس في نفس الطريق، كان طريقه في الجهاد الموضوع أمامه ناظرًا إلى رئيس الإيمان ومكمله الذي احتمل الصليب مستهينًا بالخزي، ولذلك جلس عن يمين الله، احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه، وكان في هذا مثالنا، ويقول لنا الرسول لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية.

لم يكن داود وهو في التجربة يمثل الرب، لم يكن وهو في مكان التنقية يمثل الرب يسوع له المجد. لأن الرب لم يكن فيه خلط أو زغل، بل كان داود يمثله فقط كشريك في آلامه لكي نشترك معه في

أمجاده. إن التنقية خطة لفصلنا عن الشر، ونرى مثالاً لذلك يوناثان بن شاول، كان مميزًا بين الخير في داود والشر في شاول، وكان هذا التميز طبقًا للنور الذي يعطيه التواجد في محضر الله، جاء يوناثان ليقوي داود وتكلم عنه بكلمات التشجيع ووجه نظر داود إلى الله أساس تعزيته، وكصديق مُنكر لذاته أعلن عن سروره بأن الأمور ستؤول لخير داود وأنه سيصل إلى عرش الملك، وسوف يكون هو مشيره، كان كذلك في وقت الشدة، ونحن لا نستطيع أن نُقدِّر الجهد الذي تكلفه يوناثان ليتكلم هكذا. ولكن مع الأسف رجع يوناثان إلى بيت أبيه وترك داود في البرية. أراد يوناثان أن يشترك مع داود في حكم الشعب، ولكن لم يكن لديه رغبة في أن يشترك مع داود في آلامه. والمبدأ الكتابي «إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه» (رو ٨: ١٧)، كان من المستحيل أن يحصل يوناثان على الراحة في بيت أبيه وكانت النتيجة أنه قتل مع أبيه على جبل جلبوع.

بعد زيارة يوناثان لداود اكتشف الزيفيون أن داود في زيف وكانوا على استعداد لتسليمه تحت ضغط شاول، ولكن داود صرخ للرب «اللهم باسمك خلصني وبقوتك احكم لي. اسمع يا الله صلاتي أصغ إلى كلام فمي» (مز ٥٤: ١، ٢) ولما تيقن أن الرب سمع صلاته قدم الشكر للرب «أحمد اسمك يا رب لأنه صالح. لأنه من كل ضيق نجاني».

واستجاب الرب لصلاته هذه وتدخل في أمره إذ جعل شاول يتحول عن داود إلى العدو الأصلي أي الفلسطينيين الذين أرسلهم الله ليهاجموا

مملكة شاول. وكم هو جميل أن نعرف قدرة الله في خلاصنا بعد أن تكتمل تنقيتنا.

ودُعى ذلك الموضع «صخرة الزلقات» أي صخرة الانقسام لأن قلب الملك شاول كان مترددًا بين الذهاب هنا أو هناك، وأخيرًا اضطر أن يترك داود لكي يذهب وراء الفلسطينيين. وقد صار واضحًا أن نجاة داود كانت بتدخل العناية الإلهية.

«وصعد داود من هناك وأقام في حصون عين جدي» وهى بقعة غنية بالمياه تقع عند الطرف الشرقي لصحراء يهوذا وبها كثير من عيون الماء.

الأصحاح الرابع والعشرون

نجد بعد ذلك داود في «عين جدي» وهى الينابيع التي تشرب منها الجداء ويوجد بالقرب من عين جدي «صخور الوعول» أي مكان تجمع الوعول وهي الجداء الكبيرة. لأن البرية بتلالها وصخورها قاسية فقد رتب الله وجود هذه الصخور لكي تكون مدرسة لتدريب وتجديد قوة وخطوات الوعل البرى، أنه يعمل على القوة من جراء تدريبه في القفز فوق هذه الصخور، وهى رمز لتدريب إيمان المؤمنين بالصعوبات التي يسمح الرب بوجودها أمام المؤمنين. إنها تدريب الإيمان لكي نقدم في إيماننا فضيلة. بينما تشير ينابيع المياه إلى التعزيات المنعشة التي كانت تأتى لداود من الرب فجعلته يتغنى وسط أقسى الظروف. وربما في هذه البرية الصعبة سكب داود قلبه للرب كما هو مدون في مزمور ٦٣ (مزمور لداود لما كان في برية يهوذا).

ذهب شاول ورجاله يفتش على داود فوق صخور الوعول وجاء إلى «صير الغنم» التي في الطريق وهى حوائط عالية من الحجارة يبنيها الرعاة لحماية الغنم من الوحوش المفترسة، وكانت توجد دائمًا أمام الكهوف، وإلى أحد هذه الكهوف دخل شاول ورجاله لكي يغطي

رجليه أي يأخذ قسطًا من الراحة بالنوم. أما مغابن الكهف التي كان فيها داود فهي الأماكن الداخلية المختفية من الكهف، ولا شك أن هذا الكهف كان مظلمًا ولا يستطيع الداخل إليه أن يرى شيئًا داخله أما من أقام داخله طويلا فإنه يستطيع أن يرى الداخل إليه بوضوح. لهذا لم يكن في استطاعة شاول أن يرى أحدًا بداخله. أما داود ورجاله فقد عرفوه ورصدوا كل خطواته، اغتبط رجال داود بدخوله وظنوا أن الفرصة قد حانت لداود ليريح جماعته من تشردهم ومتاعبهم بضربة واحدة برمحه، ولعلهم همسوا في أذنيه بذلك وأن الله قد أتى بشاول لهذا الغرض، ولكن كبح داود جماحهم وربما قد بذل جهدًا كبيرًا أيضًا ليكبح جماح نفسه أيضًا واكتفى بالزحف بقرب الملك وقطع طرف جبته لكي يبرهن له فيما بعد أنه كان في قبضته تمامًا، ولكنه ندم فيما بعد حتى على هذا العمل التافه. وحين احتج رجال داود عليه لعدم قتله شاول قال لهم «حاشا لي من قبل الرب أن أعمل هذا الأمر بيدي بمسيح الرب فأمد يدي إليه لأنه مسيح الرب هو». كان قرار داود بعدم قتل شاول مؤسسًا على الإيمان، قرار الرجل الذي كان في مقاصد الله أن يكون ملكاً على شعبه وأظهر داود بذلك أنه كان على مستوى فكر إلهه، ونرى في داود الضمير المدرب الحساس الذي بكته حين قطع طرف جبة شاول.

وكان قرار داود بعدم قتل شاول سببًا في إذابة كبرياء شاول وكان من المنتظر أن يلين قلبه القاسي ولكنه ظل على قساوته بسبب طول السنين التي مارس فيها القساوة.

أظهر داود بهذا أنه يعتمد كليًا على الرب، كان ينتظر الرب ووعده له وأنه في الوقت المعين لابد أن يُسرع في إتمام مقاصده ونرى لفته تعبر عما كان في قلبه «يقضي الرب بيني وبينك وينتقم لي الرب منك ولكن يدي لا تكون عليك» (ع ١٢) كما نراه يذكر مثلاً قاله القدماء «من الأشرار يخرج شر» إذ لا نجد هذا المثل في النص الكتابي لشريعة موسى لكن نجد شبيهًا له في سفر الأمثال (ص ٦: ١٢ ؛ ١٣: ٥ ؛ ١٥: ٨ ؛ ٢١: ١٠) وكان في كلام داود هذا تحذير لكي لا يتصرف شاول كالأشرار.

كان هذا هو درس زيف الذي تعلمه داود، درس بسيطٌ ولكنه عظيم، وكان هذا الدرس سببًا في انهيار شاول تمامًا فبكى واعترف أنه أخطأ وأن داود لابد أن يملك على الشعب طالبًا من داود قسمًا أن لا يقطع نسله من بعده.

حقًا ما أعجب مقاصد الرب التي فيها كل الخير لنا وعلينا أن ننتظره بصبر.

الأصحاح الخامس والعشرون

يذكر في الكتاب القدس مرتين أنه لما مات صموئيل فـإن جميـع إسرائيل ندبوه ودفنوه في بيته في الرامة (١ صم ٢٥: ١ ؛ ٢٨: ٣). جنازة رسمية في حزن وانتحاب من الجموع، على الرجل الذي لـم يسمعوا لأقواله وهو حي بينهم، والذي تمرمرت سنواته الأخيرة بـإثم الملك والشعب! وكان يومًا عظيمًا حتى قيـل إنـه «اجتمـع جميـع إسرائيل» وهل حضر معهم شاول؟ لا يُقال. لأن الجسد حتى في هذا لا يمكن أن يكون متطابقًا.

لقد جاء كثير من الأنبياء بعد صموئيل قبل أن يظهر سيدنا لكـنهم جميعًا عوملوا من الناس أقسى معاملة «أي الأنبيـاء لـم يضطهده آباؤكم؟» هكذا يقول أستفانوس «وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار الذي أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه» وقال الرب لقادة الدين في يومه «ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبـور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا في أيام آبائنا لمـا شاركناهم في دم الأنبياء (مت ٢٣: ٢٩، ٣٠). ثم استطرد ليخبرهم بأنه سيرسل إليهم أنبياء وحكماء وكتبة، ولسوف يقتلونهم ويصلبونهم ويجلدونهم، وسفر الأعمال يسجل تتميمًا لأقوال سيدنا.

من اليسير تكريم الموتى الذين لم تعد تحذيراتهم الأمينة تؤثر على الضمائر، والجسد يحصل على شيء من الإشباع بمثل هذا العمل. لكن الشيء الذي يفوز بتقدير الله هو إطاعة رسائل خدامه وهم أحياء وتذكر أقوالهم بعد رحيلهم، في وفاء (عب١٣: ٧). والثناء على الموتى مع رفض تعليمهم فذلك من أشر صور الرياء الديني، والعالم مليء به.

خذ مثلاً في العالم المسيحي يكرمون بطرس تكريمًا عظيمًا، وتبنى الكاتدرائيات على اسمه. لكن لو عاد بطرس الحياة ووقف على منبر إحداها ليُعلم بالحقائق التي انطوت عليها رسالتاه الأولى والثانية لناله من السخرية مثل ما نال معلمنا في مجمع الناصرة، فمن المحقق أن بطرس سوف يخبرنا، أن الولادة الثانية هي ثمرة زرع لا يفنى، زرع كلمة الله مقبولة في القلب بالإيمان (١بط ١: ٢٣). بينما المسيحية الاسمية تؤكد أن الولادة الثانية تنشأ بطريق المعمودية التي تقوم بها أيد كهنوتية، وكذلك يخبرنا بطرس أن جميع المؤمنين بالرب يسوع المسيح هم كهنة. «كهنوت مقدس لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح» غير أن المسيحية الاسمية تصر على أن الكهنوت قاصر على فئة محددة من الناس دون سواهم، وهكذا يلقون بقديسي الله في ظلام الجهل ومباعدون بهم عن معرفة أبيهم وإلههم.

إن الأبنية البشرية التي يشيدها الناس تكريمًا للموتى، مقابر كانت أو كاتدرائيات، ليست في نور الأبدية، بذات قيمة على الإطلاق، لكن من ذا الذي يستطيع أن يكون له تقدير لأقوال الروح القدس التي تكلم بها. سحابه الشهود. الذين كان صموئيل واحدًا منهم، والذين لم يكن العالم مستحقًا لهم!!

في الأصحاح السابق لم ينتصر داود على شاول فحسب بل انتصر على نفسه أيضًا، أظهر السلوك الذي يليق بشخص سالك أمام الله، لكن في هذا الأصحاح فنحن مدعوون أن نشاهده وهو يمثل الفشل في الناحية التي ظهرت فيها قوته.

بعد موت صموئيل انحدر داود إلى الجنوب ونزل إلى برية فاران، وتقع فاران على حدود يهوذا بين سيناء وفلسطين.

«وكان رجل في معون وأملاكه في الكرمل». والكرمل هنا ليس هو جبل الكرمل الشهير الذي يقع في شمال كنعان ضمن حدود سبط أشير، لكنها مدينة تقع على جبل له نفس الاسم في جنوب يهوذا، وأشتقت اسمها من الأراضي المجاورة، وكان للرجل ثلاثة امتيازات

أولاً: كان الرجل عظيمًا جدًا أي أنه كان غنيًا حيث كان له ثلاثة آلاف من الغنم وألف من المعز.

ثانيًا: كانت له إمرأة جيدة الفهم وجميلة الصورة اسمها أبيجايل ويعنى اسمها «أب أو مصدر الفرح والسرور»، «امرأة فاضلة من يجدها لأن ثمنها يفوق اللآلئ» (أم ٣١: ١٠). وقال لها داود «مبارك الرب.. ومبارك عقلك ومباركة أنت».

ثالثًا: وهو كالبي أي من نسل كالب. ويذكر كالب في يشوع ١٣ أنه جاء بكلام طيب بعد تجسس الأرض وقال للشعب ولموسى «إننا نصعد ونمتلكها لأننا قادرون عليها». ولكن يا للأسف فإن من نسله يأتي نابال.

احتمل داود من شاول آلامًا كثيرة حتى أنه فقد الشعور بالسلام في حياته، ونابال الذي لجأ إليه داود لكي يأخذ منه عطايا نظير حراسته لغنمه لم يكن مثل شاول عدوًا لداود لكنه كان رجلاً متكبرًا وقحًا في الرد على طلب داود، ومع ذلك كان في الإمكان أن يظهر داود حالة ضبط النفس تجاهه، ولكنه فشل في ذلك، وظهر أنه غضوب شرس حتى أنه عزم أن يقتل ليس فقط نابال بل كل من في بيته، ولم يكن هذا المظهر هو المظهر اللائق بملك سوف يملك على شعب الله، الحاكم الذي يحكم في مخافة الرب.

صحيح قاسى داود من ظلم شاول طويلاً، وتدرب في مدرسة الله ولكنه لم يكن هنا ذلك الشخص الذي يسلك في محضر الله. سبق أن ظهر فيه كل ما هو حلو وجميل، كل ما هو من الله، لكن هنا ظهر بمظهر مختلف تمامًا، ولا شك أنه درس مفيد لنا أن نتمعن في هذا الدرس ونرى كم هو رهيب أن يرتحل أربعمائة رجل تحت أمر داود لقتل كل من في بيت نابال الذي كان يسكن في «معون». ومعنى كلمة معون «مكان سكنى الله» وكانت معون في «الكرمل» ومعنى هذا الاسم «الإثمار» ولكن ما أبعد معاني هذه الأسماء عن اسم «نابال» الذي يعنى «حماقة»، كان ينبغي أن يكون شاعرًا أنه في محضر الله ويثمر لمجد اسمه، ولكنه كان أحمق جاهلاً ويقول في قلبه «لا يوجد إله».

أما «أبيجايل» المرأة الحسنة المنظر الجميلة الصورة ففي اقترانها بنابال فهي تمثل الطبيعة الجديدة في وجودها مع الطبيعة العتيقة في المؤمن التي تقول ليس إله.

وحدثت أحداث هذا الأصحاح بصدد جز الغنم، وكان جز الغنم يرتبط بأفراح وولائم عظيمة. وتذكر هذه المناسبة ثلاث مرات في العهد القديم:

(١) في تكوين ٣٨ حين صعد يهوذا إلى جزاز غنمه ودخل على ثامار كنته.

(٢) هنا في هذا الأصحاح وارتبط جز الغنم برفض الملك داود مسيح الرب.

(٣) في صموئيل الثاني ١٣ حين أوصى أبشالوم غلمانه ليقتلوا أمنون أخاه لأنه أذل ثامار أخته.

ونلاحظ أنه في هذه المرات الثلاث ارتبط جز الغنم بخطايا بشعة أمام الرب. وهذا يذكرنا بقول النبي «حين صنعت الشر حينئذ تبتهجين» (إر ١١:١٥). لكن الخطية الأعظم كانت يوم جز الحَمَل الذي قال عنه المعمدان «هوذا حَمَل الله الذي يرفع خطية العالم» (يو ١:٢٩) يوم كان «كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتة أمام جازيها فلم يفتح فاه» (إش٥٣:٧) حين رفض الشعب مسياهم ومخلصهم.

كان نابال يجز غنمه عائشًا في بحبوحة يعمل ما يحسن في عينيه، وحين كان يجز غنمه وسط صخور الكرمل، وهم في حماية داود وحُفظت أغنامهم ولم يُؤذَ ولا فُقد منهم شيء في الأيام التي رافقوهم في الحقل، وكانوا سورًا لهم ليلاً ونهارًا عندما كانوا يرعون الغنم معهم. فقال داود لغلمانه «اصعدوا إلى الكرمل وادخلوا إلى نابال. واسألوا باسمي عن سلامته. وقولوا هكذا حييت وأنت سالم وبيتك سالم وكل ما لك سالم». «السلام» يا لها من كلمة محببة! هل يمكن للعالم أن يقدرها؟ إن شيئًا واحدًا لا يمكن للعالم أن يوفره أو يشتريه

بالمال إنه السلام. فمكتوب «ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات» إن العالم يتحدث عن الفرح والطرب والسعادة ولكنه لا يذكر السلام لأنه لا يعرفه. «لا سلام قال إلهي للأشرار» (إش ٤٨: ٢٢).

وحين أرسل إليه داود يذكره أنه كان حارسًا لقطعانه، ولذلك يطلب منه تعويضًا عن تعبه في ذلك، وكانت إجابته أنه شتم داود وقال «من هو داود ومن هو ابن يسى.. لا أعلم من أين هم» لم يعرف نابال داود كمسيح الرب ليكون ملكًا على شعبه إسرائيل، ولم يعرفه كمخلص الأمة من يد جليات الفلسطيني الذي ظل يعير صفوف شعب الله لمدة أربعين يومًا.

وداود في ذلك رمز للرب يسوع المسيح الذي «كان في العالم وكون العالم به ولم يعرفه العالم. إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله» (يو ١: ١٠، ١١)، وقال نابال أيضًا «أآخذ خبزي ومائي وذبيحي الذي ذبحت لجازى وأعطيه لقوم لا أعلم من أين هم» وهذا يذكرنا بالغنى الذي جاءت الإشارة إليه في لوقا ١٢ الذي قال هو الآخر «مخازني.. غلاتي.. خيراتي.. نفسي».

وعندما سمع داود هذا الكلام قال لهم «ليتقلد كل واحد منكم سيفه» فطالما رفض نابال السلام، فليقع إذًا تحت الدينونة. وآسفاه على نابال!! فذبيحة السلام رُفضت وأصبح واقعًا تحت القضاء الإلهي. لقد قابل رسالة الرحمة الحلوة بهزء وسخر منها وجهلها. ثم جلس ليأكل ويشرب بينما كان الموت يرفرف على بيته «وبعد نحو عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات».

«فتحول غلمان داود إلى طريقهم ورجعوا وجاءوا وأخبروه حسب كل هذا الكلام» إنها فكرة جميلة لكل خدام الرب، فعندما يكرز بالكلمة فإنه يصبح من امتيازنا أنْ نرجع إلى الرب لنخبره بما فعلنا. قال عبد إبراهيم «اصرفوني إلى سيدي» (تك ٢٤: ٥). كان قلبه مع سـيده، وكذلك الرسل الذين أرسلهم الرب «لما رجعوا أخبروه بكل ما فعلوا» (لو ٩: ١٠).

وإن كان نابال يشير في موقفه هذا إلى إسرائيل المرتد فـي أيـام ربنا يسوع له المجد حين كان هنا على الأرض! إذ رفضوه وقـالوا دمه علينا وعلى أولادنا، ولكن بعد اختطاف الكنيسة سوف ترجع بقية منهم إلى الإيمان، وترمز إليها أبيجايل التي بإيمانها حولت الدينونـة عن البقية إلى الجزء المرتد من الأمة، كما يمكن من نواحي أخرى أن نرى فيها صورة للكنيسة في اقترانها بالمسيح.

وأبيجايل لا تشير فقط باقترانها بنابال إلى الطبيعة الجديدة باقترانها بالطبيعة العتيقة في المؤمن بل أيضًا إلى المؤمن الروحي البالغ فـي الإيمان. وهى بتميزها الروحي أعطت لداود مظهرًا يناسب الملوك إذ أخذت خبزًا الذي نجد فيه رمزًا للمسيح كخبز الحياة، وزقـي خمـر الذي يشير إلى الفرح المذخر لنا في المسيح، وخمسة خرفان مهيـأة وهى تشير إلى المسيح كذبيحة، وخمس كيلات من الفريك الذي يشير إلى المسيح الذي قطع في منتصف أيامه وشوى بالنار، والزبيب يشير إلى الفرح المضاعف الذي لنا في المسيح، أما التين فيشير إلى الثمر الذي يعطيه لنا الروح القدس في المسيح.

قدمت أبيجايل هذا كله إلى داود وسجدت، فالمؤمن الساجد يقدم للمسيح ما يخصه بروح السجود، أما كلماتها فترينا قمة السمو الروحي والإيمان. فهي أولاً تطلب الغفران كما أنها واثقة أن الرب رتب لداود بيتًا أمينًا لأنه يحارب حروب الرب، كما أنها كانت ترى الكمال في داود «ولم يوجد فيك شر» وتقول عن شاول أنه مجرد رجل كان يطارد داود ويطلب نفسه، ولكن لتكن نفس داود محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهه إشارة إلى الحياة الأبدية التي تكلم عنها ربنا يسوع المسيح له المجد في يوحنا ١٠ الحياة الأبدية التي يعطيها لخرافه، أما أعداء داود فليرم بها كما من كفة المقلاع إلى هاوية العذاب وهذا هو مصير الرافضين للمسيح والذين يمثلهم الرافضون لداود كالملك.

وتعترف أبيجايل بداود كسيدها ويذكر التعبير «سيدي» في هذا الجزء ١٤ مرة وهى في ذلك رمز للمؤمن الذي يعترف بالرب سيدًا له «قلت للرب أنت سيدي خيري لا شيء غيرك» (مز ١٦: ٢).

كانت أبيجايل في إيمانها تثق تمامًا أن داود لابد أن يملك على الشعب ولا ينبغي أن يسفك دمًا بريئًا يكون له عثرة في المستقبل، وهكذا عن طريق أبيجايل منع الرب داود وحفظ قدميه من السلوك في الشر. وطلبت أبيجايل من داود أن يذكرها حين يملك على الشعب. ويذكرنا ذلك بما حدث للرب يسوع المسيح حين كان مرفوضًا ومعلقًا على الصليب حيث قال له أحد اللصين المصلوبين معه «اذكرني يا رب متى جئت في ملكوتك» لقد آمن بالرب بالرغم من كل مظاهر الرفض والاحتقار والتعيير الموجهة ضده واعترف به كالملك وكانت

إجابة الرب له «الحق أقول لك إنك اليوم تكون معي في الفـــردوس» (لو ٢٣: ٤٣). لقد أجاب الرب طلبته في نفس اليوم وليس كما طلب هو حين يأتي الرب في ملكه، لكن داود أجاب طلب أبيجايل بعد موت نابال أي بعد عشرة أيام.

ونلاحظ أن النقطة الهامة في خطاب أبيجايل البليغ هي الإشـــارة الخصوصية للمستقبل «الرب يصنع لسيدي بيتًا أمينًا»، «لتكن نفـــس سيدي محزومة في حزمة الحياة مع الرب إلهك»، «ويقيمك رئـــيس على إسرائيل» كل هذه الإشارات المجيدة لمستقبل داود المبارك إنما كان القصد منها تحويل قلبه عن الألم الحاضر، وأن البيـــت الأمـــين وحزمة الحياة والمملكة كانت أسمى لداود من جميع أمـــلاك نابـــال وغنمه لأن رئيس المملكة لا تغريه بعض الغنيمات القليلة، والشخص الذي يعرف أن على رأسه دهن مسحة الرب يستطيع بسهولة أن يسمو فوق المنظور.

لننظر الرب يسوع نفسه عندما وقف ليحاكم، لقد نظر إلى العـــلا، إلى أبعد من بيلاطس وهيرودس ورؤساء الكهنة والكتبة واستطاع أن يقول «الكأس التي أعطاني الأب ألا أشربها» (يو ١٨: ١١) وهكـــذا ظلت نفسه هادئة ومشاعره غير قلقة، واستطاع أن ينظر إلى الأمـــام وأن يشق حجب المستقبل ثم يقول «من الآن تبصرون ابن الإنســـان جالسًا عن يمين القوة وآتيًا على سحاب السماء» (مت ٢٦: ٦٤).

هنا النصرة الحقيقية على الأشياء الحاضرة فإن المملكـــة العتيـــدة بجميع أمجادها التي لا تستقصى وأفراحها التي لا تحصى كانت تلمع

من بعيد بنور أبدى وبهاء عجيب فنظر إليها رجل الأحزان في تلك الساعة الرهيبة عندما كانت تعييرات أعدائه تقع على شخصه الحبيب.

«وبعد عشرة أيام ضرب الرب نابال فمات». ما أسوأ نهاية رجل العيان. رجل العالم إذ غرق في السكر طول الليل وفي الصباح طعنه الفزع في قلبه ثم نفذ سهم الموت إلى صدره فمات. ما أصدق هذه الصورة وما أكثر انطباقها على الكثيرين الذين نجح العدو في كل عصر في إغرائهم بالمطامع وملذات العالم الحاضر «الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون» (١تس ٥: ٧). ولكن ضوء الصباح قريب حين تخرج الخمر، وعندئذ تتجسم أمامهم الحقيقة القاسية لأبدية مريعة كلها بؤس محقق وشقاء مقيم مع الشيطان وملائكته في البحيرة المتقدة بالنار والكبريت. حينئذ سيأخذ كل من أبيجايل ونابال مكانه الخاص به. أولئك الذين عرفوا داود الحقيقي وأحبوه من كل قلوبهم، وأولئك الذين رفضوه بل استهزأوا به وعيروه.

وحين سمع داود أن نابال قد مات قال «مبارك الرب..» لأن الرب تدخل ومنعه من الانتقام لنفسه. وانتقم نقمة تعييره. ونرى في زواج داود المزدوج في آخر الأصحاح عيشة التساهل التي كان داود عتيدًا أن يعيشها وأوصلته إلى تلك الخطية الرهيبة التي ارتكبها فيما بعد إذ تزوج أخينوعم اليزرعيلية علاوة على أبيجايل.

الأصحاح السادس والعشرون

نجد داود الآن مرة أخرى مطاردًا من شاول وفى نفس المنطقة في «تل حخيلة» التي معنى اسمها «ظلام» أو «غموض»، وهى تقع على بعد عشرة كيلومترات شرق زيف وفي منتصف المسافة إلى عين جدي، وأعلن الزيفيون مكان اختباء داود مرة أخرى لشاول، واندفع شاول يبحث عن داود لكنه مرة أخرى سقط في يد داود، ولحق به العار أمام جنوده، كان يقترب الآن من دينونته النهائية، عبر داود الوادي ومعه أبيشاى وأخيمالك الحثي، وتطوع أبيشاى لمرافقته، ونزلا كلاهما واخترقا صفوف الجنود النائمين ووصلا إلى مكان الملك الغارق في نومه وأخذ داود الرمح الذي كان عند رأس شاول وكوز الماء. لقد فسر شاول ما يرمز إليه هذان الشيئان روحيًا، لقد فقد سلاحه الذي يحارب به بالإيمان والبر، ولم يعد له الماء الذي ينعش النفس، وذهبا كلاهما، لم ينتبه أحد إليهما لأن سبات الرب وقع على الجميع. لم يستطع تحريض أبيشاى بقتل شاول أن يؤثر في داود. لقد خيل إلى أبيشاى أنه أمر طبيعي وشرعي قتل شاول الذي كان يحاول بكل قوته أن يقتل داود، ولا شك أن داود لو كان متأذيًا من قتله هو شخصيًا لصرح لأبيشاى بذلك، وفى الحديث الذي دار بين

أبيشاى وداود قال أبيشاى إن الله قد حبس عدوه في يده وطلب منه أن يأذن إليه بضربه برمحه ضربة قاضية عاجلة تقضي عليه في برهـــة فلا يتمالك من الأنين أو الصراخ لإيقاظ أبنير أو حرسه، لكن داود لم يسمح بذلك، وقال له كلا إني لا أشترك في هذا العمل، فمن الذي يمد يده لمسيح الرب ويتبرأ. عندما تحين ساعة موته يأخذه الله ولابد لي من انتظار اليوم المعين لي من قبل الله.

لو رضخ داود لتحريضات أبيشاى لتعــرض لــوخزات ضــميره ولحُرمت البشرية من نغمات قيثارته العذبة، ووجد ما يبــرر ســباب شمعي بن جيرا وكلماته القاسية في ذلك اليوم المظلم في حياته. ولقد كان الآن في مقدور داود أن يرنم مزمور٣٧ «لا تغر من الأشــرار ولا تحسد عمال الإثم فإنهم مثل الحشيش ســريعًا يقطعــون ومثــل العشب الأخضر يذبلون» في ضوء ما عمله داود هنا تسـطع أقوالــه هذه بلمعان جديد.

وهكذا ظهرت صفات داود الرائعة. لكن مــن أيــن أتتــه هــذه الصفات؟ إن ضيقاته الأخيرة جعلته يلتصق بالرب بقوة وحماس. وقد تعلم في شركته مع الرب الكثير عن صلاحه الذي يفــوق الوصــف. كانت له القدرة على التمتع بمحبة الله ورأفته وتقديرهما. ولا شك أن وجود داود المستمر في محضر الله قد أجرى فيه تغييرًا أدبيًا ملحوظًا وهذا ما نكتشفه في سفر المزامير «أمل يا رب أذنك. استجب لــي. لأني مسكين وبائس أنا. احفظ نفسي لأني تقي. يا الهي خلص أنــت عبدك المتكل عليك» (مز ٨٦: ١، ٢).

ما أحوجنا إلى إيمان أعظم بالقوة الهادئة الناتجة عن الشركة المستمرة مع الله.

كان داود شجاعًا عندما صرخ إلى شاول وأثبت براءته الكاملة وأوضح بأن التهم التي نُسبت إليه لم يكن لها أساس من الصحة، وتحول من أباطيل الأرض وظنونها إلى قضاء الله العادل. عندئذ رفع الملك صوته واعترف قائلاً قد أخطأت، وتحولت روح الانتقام من داود إلى ضعف وخور في العزيمة، بل ذهب إلى أبعد من ذلك واعترف بأن داود لابد أن يصير ملكًا. ولا زالت هذه هي الطريقة لربح الآخرين فكلما ازددنا تواضعًا وخضوعًا وتسليمًا ازددنا ربحًا للآخرين، وعندما نرفض استخدام الفرص للانتقام من الآخرين والتي نجنى فيها أبشع الثمرات كلما ازددنا ربحًا لهم. إن الشخص الذي يعرف كيف ينتظر الله هو رجل القوة، ولابد أن يعترف الآخرون بها وينحنوا أمام صولجانه.

كان الرب يعطى لشاول فرصته الأخيرة قبل أن يقضى عليه ولكنه لم ينتهز هذه الفرصة. كان يريد أن يرجع عن طريقه في الانتقام من داود ولكنه ظل على قساوته وعدم إيمانه وكان سائرًا بسرعة إلى القضاء النهائي عليه.

كان شاول متقلبًا في حياته فتارة يصفح عن داود وتارة أخرى يرجع إلى حب الانتقام منه وهذا التقلب يعطينا نورًا جديدًا للمزمور السابع الذي جاءت في عنوانه إشارة إلى شخص اسمه «كوش البنياميني» ويرجح المفسرون أنه كان صديقًا حميمًا لشاول وكان

ينفث فيه سمومه ضد داود. فبعد أن يصفح شاول عن داود ويرجع إلى كوش يعود شاول مرة أخرى إلى حب قتل داود وهكذا كان شاول كالوشيعة (المكوك) يجئ ويروح بين هاتين الشخصيتين. لعلك أيها القارئ لا تخلو من وجود «كوش» في حياتك يذيع عنك كل مذمة زورًا وبهتانًا وينسب إليك تهمًا باطلة ويسمم أفكار الكثيرين من نحوك. أمثال هؤلاء الأشخاص قد يوجدون في المنتديات الاجتماعية وقد يوجدون في قصور الملوك ولكن يجب أن نفحص أنفسنا لئلا يوجد فينا أساس لكلمات كوش هذا، ونلجأ إلى الله ونقول له اختبرني وافحص قلبي واهدني طريقًا أبديًا. إن وجدت! فاطرحها جانبًا، وإن لم توجد فطوبى لك وتستطيع أن تقول كما قال داود «ترسي عند الله مخلص مستقيمي القلوب» (مز ٧: ١٠) ينبغي لك عندئذ أن تسلم لمن يقضي بعدل وهو لابد أن يظهر حقك وبرك.

الأصحاح السابع والعشرون

نجد داود مرة أخرى بعد انتصاره على نفسه وإظهار صلاح الله من نحوه وقد ضعف إيمانه، ولم يعد يرى شيئًا أمامه سوى أنه سوف يهلك يومًا بيد شاول. ولا شك أن لقاء داود الأخير مع شاول قد أثر عليه تأثيرًا كبيرًا، لقد وصف بكلمات مؤثرة أمام شاول حالته كحجل مطارد في الجبال وقارن بين تفاهته كبرغوث وبين قوة الملك وموارده. وقد جعله هذا يشعر بالخطر المحدق به بصورة أكبر من ذي قبل، واعتقد أن أعداءه سيمسكون به في النهاية وينقضون عليه. لقد نبر داود على المخاطر الناتجة عن الاستسلام للأفكار المقلقة بكلمات كانت سبب بركة لكثيرين منذ ذلك الحين ولكنه فشل في أن يحقق هذا لنفسه في تلك اللحظة، ففي مزمور ١٣٩ الذي يحضر النفس في كل حركاتها الداخلية تحت نظر الرب نرى داود يظهر رغبة حارة في التخلص من كل فكر يثبط عزمه ويضعف قلبه ويقوده إلى التحول عن الله «اختبرني يا الله واعرف قلبي. امتحني واعرف أفكاري وانظر إن كان فيّ طريق باطل واهدني طريقًا أبديًا» (مز ١٣٩: ٢٣، ٢٤) لكن نراه هنا ينسى مراحم الله واختباراته السابقة وخلاصه المتكرر من كل الضيقات، كما نسى أفراحه

وشهاداته، وعندئذ خطط لنفسه، لكن ألا توجد عوامل دفعته إلى هذا التفكير، كان معه زوجتان "أخينوعم وأبيجايل"، وكان معه أيضًا ستمائة رجل وربما كان الكثيرون منهم متزوجين وكان عليه إعالتهم وبسبب وجود هؤلاء النساء بأولادهن كان من العسير عليه أن يكون دائم الهجرة بسبب عدم قدرتهم على تحمل مشقات الانتقال الكثيرة.

كان من عادة داود في المناسبات الأخرى استدعاء الكاهن بالأفود ليسأل الرب ولكن مع هذا التفكير لم يعمل ذلك، تصرف كما تصرف مع نابال تحت التأثير المفاجئ لعاطفته وهى تحت تأثير الخوف. لقد نظر إلى الظروف، ولعله أصغى إلى مشورة الرجال الذين التفوا من حوله معجبين بشجاعته ولكنهم لم يبالوا بينابيع حياته الأعمق في الله وإيمانه وهذا يرينا أننا لا ينبغي أن نتخذ أي قرار ونحن تحت تأثير الخوف والانزعاج أو نقع تحت تأثير الآخرين علينا، بل علينا أن نركع على ركبنا ونرجع إلى الله ونقول له يا رب ماذا تريد أن أفعل. ليت داود تذكر كلام أبيجايل أنه سوف يرمى نفس أعدائه كما من وسط كفة المقلاع وأن الرب سوف يصنع له بيتًا أمينًا وأنه سوف يقيمه رئيسًا على إسرائيل. وتأيدت هذه المواعيد بواسطة صموئيل ويوناثان وشاول نفسه، وأعلن له عند مسحه بالزيت أنه قد صار مسيح الله وكان الله مستعدًا لو سأله داود أن يمنحه في محبته تعزيات وتعضيدًا.

ولا شك أن التفكير في أن يفلت إلى أرض الفلسطينيين فييأس شاول منه فلا يفتش عليه بعد في جميع تخوم إسرائيل. قد بعث

السرور في نفس الكثيرين من أتباعه غير المؤمنين كما أن كل الأتقياء من أتباعه قد أحسوا بأن هذا الكلام ينم عن روح اليأس ويتعارض مع نصائحه التي طالما رددها لانتظار الله «كل منتظريك لا يخزوا، ليخزَ الغادرون بلا سبب» (مز ٢٥: ٢).

كانت فلسطين في ذلك الوقت ممتلئة بهياكل الأصنام وكهنة الأوثان (٢صم ٥: ٢١)، ما كان في إمكان داود والذين معه أن يرنموا لأنهم أصبحوا في أرض غريبة، ما كان في استطاعتهم تقديم ذبائح، وكان اختلاطهم بسكان الأرض الوثنيين عتيدًا أن يحدث تأثيره السيئ فيهم.

ذهب داود إلى جت التي فيها سبق أن تظاهر بالجنون خوفًا من ملك جت وهكذا نجده يسلم نفسه إلى عدم الإيمان وكانت كل خطوة من خطوات عدم الإيمان تقوده إلى خطوة أخرى أردأ إذ ابتدأ يمارس الكذب على ملك جت. ويذكر أنه كان يهاجم جنوبي يهوذا، وهذا يرينا كيف أن القلب حين لا يكون تحت اللمسة الإلهية فهو يحارب الشرور من أجل أغراض ذاتية، وكانت الخطوة الأردأ التي مارسها داود هي القسوة لكي لا يفتضح أمره إذ كان يقتل في حربه الكل، لم يستبق رجلاً أو امرأة أو طفلاً حتى يأتي إلى جت، كما أنه كان يعطى ملك جت من غنائمه أي يثرى أعداء الرب، ولم يكتف داود بهذا بل سار إلى خطوة أردأ إذ أصبح حارسًا شخصيًا لأخيش ملك جت وبذلك أصبح على استعداد أن يحارب إسرائيل، وهى حالة تعيسة جدًا.

ولا شك أن الفلسطينيين كانوا يراقبون داود ورجاله، وكان من التعذر أن يحتفظوا بحريتهم واستقلالهم، ولذلك طلب داود أن يخصص

له مدينة صغيرة وأذن له ملك جت أن يقيم في صقلغ وهى مدينة في الجنوب كانت من نصيب يهوذا أصلاً ثم انتقلت إلى نصيب شمعون وأخيرًا امتلكها الفلسطينيون ولكنهم لم يسكنوها (يش ١٥: ٣١ ؛ ١٩: ٥ ؛ أخ ٤: ٣٠) ومعنى الاسم صقلغ «ضغط الموجة»، وهكذا أصبح داود تحت ضغط الظروف. وإذ وجد هؤلاء الرجال المطاردون في هذه المدينة الصغيرة شعروا بشيء من الراحة واستمروا في راحتهم هذه نحو ستة عشر شهرًا، وأخبر شاول أن داود قد هرب إلى جت فلم يعد أيضًا يفتش عليه.

وكان لابد لداود أن يعول نفسه وأتباعه ولم يكن أمامه سوى الإغارة على الأرض الجنوبية التي كانت شعوبها متحالفة مع الفلسطينيين ومن ألد أعداء شعبه، وبين هذه كانت توجد قبائل الجشوريين والجرزيين والعمالقة، وكلها قبائل بدوية تعيش على السلب والنهب.

أخذ داود مصيره بيده وكان لجوؤه إلى ملك جت فيه البرهان أنه أصبح مطرودًا ومنفيًا من شعبه، وفى هذا إهانة لمحبة الرب وعنايته. وفى حقيقة الأمر أن واحدًا من أولاد الله لا يطرد بعيدًا عن الميراث بدون سبب إذ حين يسلم أمره لله ويسلك بالإيمان فإن الرب يحفظه في أرض ميراثه.

الأصحاح الثامن والعشرون

«وكان في تلك الأيام أن الفلسطينيين جمعوا جيوشهم لكي يحاربوا إسرائيل. فقال أخيش لداود اعلم يقينًا إنك ستخرج معي في الجيش أنت ورجالك. فقال داود لأخيش لذلك أنت ستعلم ما يفعل عبدك. فقال أخيش لداود لذلك أجعلك حارسًا لرأسي كل الأيام» (ع ١، ٢).

لم يكن ممكنًا أن يرفض داود مساعدة أخيش، وإذا كان قد وعد بمساعدته في الحرب. فلم يكن من السهل على داود أن يقف على الحياد أو ينضم لصفوف الإسرائيليين وإلا اعتبر خائنًا، وإذا حارب ضد إسرائيل لكان قد ارتكب خطأ عظيمًا، وبدا أنه من المستحيل أن يخرج داود من هذه الصعوبة بضمير صالح وجوابه الذي كان ينطوي على مراوغة قصد به كسب الوقت لكنه لم يكن أبدًا يتفق مع الإنسان السالك بالاستقامة. أين راعى الغنم جبار الإيمان الذي غار مرة على مجد اسم إله إسرائيل ونزل وحده للقاء جليات الفلسطيني المُبارز وانتصر عليه ونزع العار عن إسرائيل؟ ها هو في وسط الفلسطينيين بإرادته وله وعد من الملك أن يكون حارسًا لرأسه كل الأيام. نرى أمرًا مثل هذا في بعض الأوقات، إذ يكون واحد قد عرف الحق واعترف به وجدّ في انتشاره إلى حين ثم ضعف إيمانه بسبب

المشقات المقترنة مع السلوك بالإيمان والتجأ إلى المقاومين، وإذ ذاك يضطره الأمر أن يظهر غيرة شديدة ضد الحق. وآسفاه على الإنسان إن كان متروكًا لذاته فإنه حالاً يظهر عدم نفع الجسد ويعمل ما يهين اسم الرب.

«**ومات صموئيل وندبه كل إسرائيل**» (ع ٣) سبق الخبر عن موت صموئيل في أصحاح ٢٥ وأما هنا فيعود الوحي يشير إليه ليظهر لنا أنه لم تكن هناك علاقة باقية بين الله ومملكة شاول.

بعد بضع سنوات من وفاة صموئيل كان له هذا الاختبار الفريد – اختبار عودته إلى الأرض برسالة من الرب، كانت معركة جلبوع في الأفق، وكان شاول في حالة من اليأس يملأه الإحساس باقتراب حرب عاجلة. حاول الاتصال بالله للإرشاد والمعونة، الإله الذي أهانه في مدة حكمه، ولم يجبه الله بشيء لا بالأحلام، ولا بالأوريم ولا بالأنبياء حتى خاف مرة وقال «الرب فارقني ولم يعد يجيبني» وهذا يذكرنا بما جاء في هوشع ٤: ١٧ «أفرايم موثق بالأصنام اتركوه» ولا شك أنه أمر خطير أن واحدًا من الناس يرفض أن يسمع صوت الله، لأن ليس الله محدودًا، وسوف تدرك المسيحية الاسمية هذه الحقيقة عما قريب يوم تسلم لضلالة إنسان الخطية (٢ تس ٢).

فإذ أحس شاول بحاجته للمعونة والإرشاد بكلمة من جهة ما، قال لعبيده «فتشوا لي على امرأة صاحبة جان فأذهب إليها وأسألها». كان في مطلع حكمه قد حاول أن يبطل هذا الشر الفظيع منفذًا بصرامة ما أمر به الناموس (خر ٢٢: ١٨)، لكن من الواضح أن بعض

الأشخاص كانوا يمارسونه في الخفاء، يا له من متناقض هذا الجسد البائس! فهو قد يتحرك حنقًا وغيظًا ضد شكل من أشكال الإثم ويبذل الجهد لوقفه بينما ينغمس طواعية في أشكال أخرى منه ضد الله بالتمام كغيرها، وحتى قديسو الله الحقيقيون ليسوا بمنجاة من هذا الخطر. لقد قال صموئيل لشاول بعد عصيانه في أمر عماليق «التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترافيم» لماذا؟ لأنه يضع مكان الله شيئًا آخر، الأمر الذي كان يعمله شاول باستمرار في حياة الأنانية والذات التي كان يحياها.

ولما علم أنه توجد امرأة تمارس العرافة في عين دور تنكر وذهب إليها ليلاً ومعه اثنان من عبيده. لم يبق فيه شيء من شرف النفس والاعتبار للصدق. وطلب إليها أن تحضر إليه من يقول لها فاحتجت لأن ذلك ضد قوانين المملكة وقد يكلفها حياتها فحلف لها شاول قائلاً «حي هو الرب إنه لا يلحقك إثم في هذا الأمر» إن هذا الرجل التاعس تهور في هذه الخطية البشعة إلى الدرجة التي فيها ألصق اسم الرب القدوس بأمر مثل هذا بغيض في نظره تعالى. ولا غرابة فقد أضاع شاول كل إحساس حقيقي بالعلاقة مع الله. أضاع ذلك تمامًا.

حين كان صموئيل حيًا لم نقرأ أبدًا عن شاول أنه ذهب إلى صموئيل ليطلب نصيحته في مشكلة ما، وكان خيرًا له لو فعل ذلك، لكن الآن وبعد أن مات صموئيل. فيقول شاول للمرأة «اصعدي لي صموئيل». إن كثيرين من الذين يحتقرون القديسين ويضطهدون خدام الله وهم أحياء يودون لو استطاعوا أن يعيدوهم إلى الحياة بعد موتهم ليسمعوا منهم كلمة نصح أو إرشاد.

إن العِـــرَافَة؛ السحر وتحضير الأرواح، شيء قديم. فبعد كارثـــة الطوفان يوم أعطى الناس ظهورهم لله، حاولوا الاتصال بالعالم غيـــر المنظور بوسائل مُحرَّمة وكان الشيطان بكل تأكيد هو معلمهم في كل هذا لأنه بذلك اكتسب الآذان التي كان المفروض أن تنفتح لصوت الله وهوذا الرب في تثنية ١٨ حازم في أوامره لشعب إسرائيل للتصرف بقسوة لا ترحم في هذا الأمر يـــوم يـــدخلون أرض الموعـــد فـــإنهم سيجدون يوم دخولهم أرض كنعان مليئة به فعلى شعب الله ألا يتعلمه ولا يستبقيه.

وهذا الشر يفتن الناس كثيرًا على مر الزمن لأن بـــين جـــوانحهم رغبة طبيعية لمعرفة شيء عن الحياة المستقبلة، ويقولون إن تحضير الأرواح هو وسيلة مهيأة للحصول على معلومـــات مـــن الأصـــدقاء والأقارب الذين ماتوا، بل إنهم يقولون إن أولئك الراحلين يشتاقون إلى الاتصال بنا، على إن هذا يعاكس على خط مستقيم ما نراه في القصة التي أمامنا، وهى السجل الوحيد الصادق عن راحل يعود ويكلم أناسًا على الأرض. لقد وبخ صموئيل شاول لأنه أقلقـــه «لمـــاذا أقلقتنـــي بإصعادك إياي».

لا شك في أن صموئيل ظهر للملك المرتعب وتكلم معه بصـــوت مسموع. ولكن هل حركات المرأة هي التي أحضرته؟ كلا بـــاليقين. فإن مفاتيح الهاوية والموت ليست في متناول أي كـــائن (رؤ ١: ١٨) والقديسون الراحلون هم في حضرة الرب يتمتعون برضاه بلا عائق، أما الهالكون فهم «أرواح في السجن» (ابط ٣: ١٩) ينتظرون تنفيـــذ

الحكم النهائي في اليوم العظيم. القديسون ليسوا تحت رحمة عمال أشرار، ليسوا عرضة لإقلاقهم في أية لحظة حتى يتناول شخص ما أجرًا على الاتصال بهم كما يزعم. والخطاة مُغلق عليهم في الحراسة بقوة الله، وإذا كان أحد يدعى بأنه سمع أصواتًا من عالم الأرواح فالتحليل لذلك هو أن الشياطين تقلد الموتى والغاية من ذلك مخادعة الأغبياء السامعين ولهلاكهم الأبدي. لكن الرب في حكمته قد سمح أن يظهر صموئيل لشاول ليكلمه بكلمات نهايته الأليمة.

يتساءل الله في إشعياء ٨: ١٩ لماذا يسأل الشعب الموتى بينما في متناولهم، لو أرادوا، أن يسألوا خالقهم «وإذا قالوا لكم اطلبوا إلى أصحاب التوابع والعرافين المشقشقين والهامسين. ألا يسأل شعب إلهه؟ أيُسأل الموتى لأجل الأحياء؟».

وحين ظهر صموئيل فعلاً كانت عرّافة عين دور هي أكثر الناس خوفًا ورعبًا! لأنه لم يحدث لها هذا الاختبار من قبل، إنها قبل أن تبدأ تعويذاتها وسحرها، وقف أمامها الشخص المطلوب. لم تكن المرأة تنتظر صموئيل حقيقة بل انتظرت الذي كان معتادًا أن يظهر لها وهو الروح الشيطاني الذي كان يدعى أنه الشخص المطلوب ويعطى أخبارًا مناسبة بحسب الظروف المناسبة لمن سألها. ولكن تداخل الرب نفسه في هذه المرة وأرسل عبده صموئيل. فأوحت إليها هذه الحقيقة المذهلة أن هذا الزائر لم يكن أقل من شخص الملك شاول. فقد تصورت أنه من أجله وحده يرضى الله أن يقلق راحة النبي الأمين.

وحين علم شاول أنه صموئيل «خر علـــى وجهـــه إلـــى الأرض وسجد» كان قد ذهب ليستخبر من صاحبة جان واســـتقبله الله، كمـــا صار مع بلعام لأن الله فوق جميع أفكار البشر وفوق حيل الشـــيطان، ويستطيع أن يحول كل شيء لإتمام مقاصده، إمـــا لبركـــة شـــعبه أو معاقبة أعدائه.

وما الذي كان في وسع صموئيل أن يفعله سوى أن يعلن قضاء الله ضد شخص أخطأ بعناد ضد النور والامتياز؟ ولهذه الغاية الخطيـــرة رضى الله أن يبعث عبده إلى الأرض ذلك اليوم. وقد خلـــت أقـــوال صموئيل من عطف أو رحمة «لأنك لم تسمع لصوت الرب ولم تفعل حمو غضبه في عماليق لذلك قد فعل الرب بك هـــذا الأمـــر اليـــوم. ويدفع الرب إسرائيل أيضًا معك ليد الفلسطينيين وغدًا أنـــت وبنـــوك تكونون معي ويدفع الرب جيش إسرائيل أيضـًــا ليـــد الفلســـطينيين» (ع ١٨، ١٩). لقد كان «غدًا» هو آخر يوم لشاول علـــى الأرض. وماذا بعد؟ إن القول «معي» لا يقصد به أن شاول سيقاسم صـــموئيل السعادة. بل المعنى أنه غدًا سيعد بين الموتى كما النبي بالتمام. بل حتى شاول ويوناثان قد افترقا لحظة الموت ولسوف نلاقى يوناثان في حضرة الرب يسوع عند مجيئه. أما شاول فلن نجده.

ولاحظ الفرق بين الجسد والروح. لقد سمر الفلســـطينيون جســـد شاول مع أجساد بنيه على سور بيت شان. أما روحه فكانـــت فـــي الهاوية قبل ذلك الهوان.

إن في قصة عين دور لصوتًا مدويًا للناس اليوم. فإن محاولة الاتصال بالموتى لا تجدي شيئًا. لكن الالتفات لصوت الله يكسبهم كل شيء. والكتاب المقدس، وقد اكتمل جميعه يحدثنا بكل ما يلزمنا أن نعرفه عن السماء وعن الهاوية. ومن يتحول عن الصوت الإلهي المتكلم في الكتاب المقدس يعرض نفسه لشر خداع الشيطان ولهلاكه الأبدي.

فيُذكر صموئيل في عبرانيين ١١: ٣٢ كواحد من أفاضل الله، وفيه أيضًا نرى داود. أما شاول الذي تميز مرة بإحسانات كثيرة فليس هناك. ما أرهب ما سجله الكتاب عن شاول «فمات شاول بخيانته التي بها خان الرب من أجل كلام الرب الذي لم يحفظه. وأيضًا لأجل طلبه إلى الجان للسؤال» (اأخ ١٠: ١٣). كانت هذه نهاية الملك الذي أراده الشعب قبل أن يأتي الملك المُعين من الله. ونرى هنا رمزًا له مغزاه عن الأحوال التي تسود الأرض قبل مجيء الملك السماوي ربنا يسوع المسيح ابن داود وملك إسرائيل ليأخذ ملكه. فملوك الأرض والمسيحيون الاسميون قد عصوا الله وتركوا كلامه. إنهم مثل شاول قد أخطأوا إلى الرب وتبعوا أرواحًا مضلة وتعاليم شياطين (اتى ٤: ١) وسيتقدمون إلى أردأ مضِلِّين ومضَلَّين، لأن الأرواح الشريرة الصانعة الآيات والعجائب ستجول في الأرض في الأيام الأخيرة وتسيطر على ملوك الأرض وكل المسكونة لتجمعهم لقتال ذلك اليوم العظيم يوم الله القادر على كل شيء. إلى معركة هرمجدون (رؤ ١٦: ١٣-١٦). وكل ذلك نجده مشارًا إليه في ارتداد شاول ثم في نهايته الأليمة.

الأصحاح التاسع والعشرون

كانت رحمة الله ومحبته ترفرفان فوق حياة داود في فترة انحرافه، وعندما يضعف إيماننا، عندما نكون غير أمناء فهو يبقى أمينًا لن يقدر أن ينكر نفسه، إذ لابد أن يرد نفوسنا، وهذا ما يتجلى لنا بوضوح في هذه الفترة من حياة داود ولابد أن تتحقق معنا أيضًا كلمات داود التي نطق بها فيما بعد إذ تطلع إلى تلك الفترة من حياته حيث رفعه الله بصلاحه ووصل إلى ما جاء في ٢صموئيل ٢٢: ٣٦ و مزمور ١٨: ٣٥ وقال «لطفك يعظمني» ولقد تجلت رحمة الله الهادية لداود في دفع العظماء والأقوياء للدفاع عن قضية داود إذ جاء في أخبار أيام الأول ١٢: ١ «وهؤلاء هم الذين جاءوا إلى داود إلى صقلغ وهو بعد محجوز عن وجه شاول بن قيس وهم من الأبطال مساعدون في الحرب»، وحين نتأمل في أسمائهم نجد البعض من نفس السبط الذي ينتمي إليه شاول الملك نفسه، وهم ماهرون في الفنون الحربية يستطيعون باليد اليسار كما باليمين أن يرموا بالمقلاع أو بالقوس، والآخرون أتوا من شرق الأردن، عبروه عائمين في وقت الفيضان وهو ممتلئ إلى جميع شطوطه رجال بأس متمرنون على الحرب وجوههم تشبه الأسود سريعو الحركة كالأيائل فوق الجبال وأتى

غيرهم من بنيامين ويهوذا مؤكدين لداود أنه لا مبرر أن يشك في ولائهم له. قالوا له «لك نحن يا داود ومعك نحن يا ابن يسى. سلام سلام لك. وسلام لمساعديك لأن إلهك معينك» (١أخ ١٢: ١٨).

كانت روح التذمر بدأت تتفشى في كل الشعب إذ أعيا من سوء إدراك شاول وبدأ يدرك أن رجاء إسرائيل الوحيد معقود على داود، لذلك خرجوا إليه خارج المحلة حاملين عاره وهكذا صاروا يتوافدون إليه يومًا فيومًا حتى صاروا جيشًا عظيمًا كجيش الله (١أخ ١٢: ٢٢).

وبغتة اعتزم الفلسطينيون محاربة إسرائيل إذ لاحظوا الانحلال الذي بدأ في مملكة شاول فجمعوا جيوشهم إلى أفيق، وكان الإسرائيليون نازلين على العين التي في يزرعيل (١صم ٢٩: ١).

وأكد ملك جت لداود ضرورة مرافقته له علامة على ثقة الملك فيه إذ لم ير فيه أي لوم منذ أن التجأ إليه، وكان ينظر إليه كملاك الله وجعله حارسًا لرأسه كل الأيام (١صم ٢٨: ٢) ولم يكن أمام داود إلا أن يوافق سيده في الحرب، كان الموقف حرجًا إذ بأي قلب يستطيع داود أن يفعل هذا، كان يبدو أنه يتحتم عليه محاربة شاول ويوناثان صديقه الحميم، والشعب المختار الذي كان يرجو أن يملك عليه يومًا من الأيام، ولم يستطع أن يجيب الملك إلا بمراوغة إذ قال «ستعلم ما يفعل عبدك» كان قد جاز مع الملك مسافة طويلة كان يشعر فيها بانقباض قلبه، لم يكن يرجو معونة من أي إنسان ولعل قلبه كان مشغولاً بصلاة حارة إلى الله لكي ينقذه من الشباك التي أوقع نفسه فيها. ومن إجابته إلى أخيش نرى رجاءه أن الله لابد أن يتنازل إليه بالخلاص.

وبغتة على غير انتظار فتح باب الرجاء في وادي عخور عندما استعرض الملك جيشه في أفيق وعبر الفلسطينيون مئات وألوف وعبر داود ورجاله في الساقة مع أخيش واعترض أقطاب الفلسطينيين على خروج داود معهم مشككين في إخلاصه وقالوا للملك «أرجع الرجل فيرجع إلى موضعه الذي عينت له». كانوا خائفين أن ينتهز داود الفرصة ويصطلح مع شاول وينقلب محاربًا لهم. لم يدركوا أنهم آلة في يد الله لكي ينقذ عبده داود من موقفه الحرج.

أما كلمات داود التي عبر بها عن رغبته الشديدة للبقاء بين صفوف أعداء الرب فتوضح لنا عمق الهوة السحيقة التي يمكن أن ينحدر إليها المؤمن في شروره بعيدًا عن الله. فنرى داود يُلقب أخيش الشرير بقوله «سيدي الملك» ثم يصف شعبه إسرائيل الذي كان هو ملكه الممسوح من الرب ملكًا عليهم إنهم «أعداء» لكن رحمة الله حفظت داود من التردي إلى ما هو أعمق من ذلك.

وطلب الملك من داود أن يرجع، ورجع داود وانطبق ما قاله في مزمور ١٢٤: ٧ «الفخ انكسر نحن انفلتنا».

الأصحاح الثلاثون

كان ينبغي أن تظهر النعمة ولكن بالاقتران مع قداسة الله، لا يمكن فصلهما، وهذا يعنى أنه بالاقتران بالنعمة ينبغي أن يكون هناك التأديب. كان ينبغي أن داود يعرف حالته تمامًا، وفى طريق ذلك حدثت غارة من الجنوب، من الناس الذين استعلن الله دينونته ضدهم، وفى طريق تأديب داود أُحرقت صقلغ بالنار، لم تكن فيها وسائل دفاع، وأُخذ كل ما كان فيها، وكان العمالقة هم الآلة المستخدمة من الرب لتأديب عبده، وكلمة عماليق تشير إلى شهوات الجسد، وحين تكون النفس بعيدة عن الله لابد أن يغزوها عماليق وتثور شهوات الجسد ويتصرف الإنسان كما يحسن في عينيه، ولكن ترد النفس المؤمنة في النهاية بتوسط النعمة.

عرف داود أن يد الله امتدت على كل ما هو غال في نظره إذ حين رجعوا إلى المدينة لم يجدوا سوى حطامها وأن نساءهم وأولادهم قد سبوا، وكان ينبغي أن يعرف داود أنه حين لا تكون هناك رابطة بينه وبين الله فإن الرابطة تُقطع أيضًا بينه وبين الناس إذ أن رجاله المُكرسين له قالوا برجمه وهم في مرارة المر على زوجاتهم وأولادهم، واعتبروا داود مسئولاً عن البؤس الذي أصبحوا فيه

بالتجائه إلى الفلسطينيين، وكان الناموس يحكم بالرجم على الشخص الذي يتسبب في إهانة اسم الله (لا ٢٤: ١٦) أو الذي يقود الشعب إلى عبادة الأوثان (تث ١٣: ٦-١١). وهنا بدأ داود بذوق مرارة طلبه مساعدة أخيش في يوم حاجته إذ يتحتم عليه الآن أن يشارك الفلسطينيين في خسارتهم لأنه اتخذ مقامه بين الغلف. لو كان قد بقى في جبال يهوذا لنجا من كل هذه الأحزان وصار له الله سور نار حوله ولكنه فر إلى صقلغ، هرب من شاول. وكانت النتيجة المرة أنه بينما كان شاول يسقط على جبل جلبوع كان داود يبكي على أطلال صقلغ.

ولكن داود تشدد بالرب إلهه، وهذا هو الفرق بين داود وشاول الملك، لأن الضيقات وتأديب الرب ترد المؤمن إلى الرب.

كان داود رجل الإيمان الذي عرف الرب ونعمته الفياضة الأمر الذي كان سببًا في طمأنينته في هذه الحالة المظلمة جدًا من حياته، فألقى حمله الثقيل على هذه النعمة ولولا ذلك لييئس وفشل لأنه في كل حياته لم يجرب بمثل هذه التجربة. فالإيمان وحده يعرف أن الكفاية في الله الكفيل بسد كل حاجات البشرية من ضعف وسقوط وألم وخطية. لكن الإنسان بحسب الطبيعة يخور ويصبح في حالة اليأس والقساوة.

وعندئذ استدعى داود أبياثار الكاهن وسأل من الرب وقال «إذا لحقت هؤلاء الغزاة فهل أدركهم» فقال له «ألحقهم فإنك تدرك وتنقذ».

كانت الأمور تشير على داود أن يذهب فورًا وراء الغزاة، ولكن رجل الإيمان داود لم يسر وراء مشاعره الطبيعية وسأل حين كان كل

شيء واضحًا، وكان الرد سريعا بدون كلمة توبيخ واحدة «تدرك وتنقذ وإذا كان الله يقبل سريعًا الخاطئ الراجع (لو١٥) فكم بالحري المؤمن الراجع إليه وهو في حالة رد النفس والتوبة.

وعلى الفور كان داود رجل النشاط. الرجل الهمام الشجاع قائد الرجال، وفى وقت قصير جاء إلى وادي البسور، ولكن جيشه الصغير أصبح في حالة إعياء من السرعة التي ساروا بها، وكان عدد القادرين على الحرب رغم إعيائهم أربعمائة رجل، أما باقي الرجال فقد أصبحوا عاجزين عن السير، وكانت المعركة للرب وليست لهم، ووقف مائتا رجل عند الأمتعة.

وفى أثناء سيرهم إلى المعركة وجدوا رجلاً مصريًا في حالة إعياء من الجوع والعطش قريبًا من الموت، ورجعت نفس الرجل بتقديم الطعام والماء إليه مع التأكيد له أنه لن يرجع إلى سيده العماليقي. وهذا الرجل وهو في حالة الموت يشير إلى الإنسان بحسب الطبيعة فهو في حالة الموت بالذنوب والخطايا ولكنه يرجع إلى الحياة بالخبز والماء، الخبز يشير إلى خبز الحياة الرب يسوع المسيح له المجد، والماء يشير إلى كلمة الله المقترنة بالروح القدس أي بتقديم المسيح له والإيمان به كالفادي والمخلص. وفى الخبز والماء نجد الإنجيل، وهنا نتذكر الرجل الذي ورد ذكره في لوقا ١٠ الذي كان بين الحياة والموت، وأسعفه السامري الصالح وأركبه على دابته ووصل به إلى الفندق الذي يشير إلى دائرة النعمة.

وكان لدى الغلام المصري التأكيد أنه لن يرجع إلى سيده العماليقي مرة أخرى أي لن يرجع إلى العبودية مرة أخرى وهذا

ما نراه في كل من يؤمن بالمسيح إذ يتحرر ولا يرجع إلى عبودية الخطية مرة أخرى.

أُنقذ الرجل المصري ونال الحياة ولم تعد تنتظره الدينونة التي كانت تنتظر أسياده العمالقة. كانوا يرقصون فرحًا وفاجأتهم الدينونة بغتة إذ ضربهم داود من العتمة إلى مساء اليوم التالي ولم ينج منهم سوى أربعمائة رجل هربوا على جمالهم، وهؤلاء الذين كانوا يرقصون فرحًا يشبهون أهل العالم الذين يأكلون ويشربون ويفرحون غير عالمين المصير البئس الذي ينتظرهم.

استخلص داود كل ما أخذه عماليق وليس هذا فقط بل رجع بغنائم كثيرة، وعند عودته لم يرد الرجال الذين رافقوا داود أن يكون لزملائهم الذين مكثوا عند الأمتعة أن يأخذوا مثلهم في الغنائم، ولكن داود رفض هذا الأمر، وقال «كنصيب النازل إلى الحرب نصيب الذي يقيم عند الأمتعة فإنهم يقتسمون بالسوية» وأصبح هذا الأمر منذ ذلك اليوم فريضة وحكمًا لإسرائيل، وهذا يرينا أن الذين يخدمون بالكلمة ويربحون نفوس للمسيح سوف تكون أجرتهم مثل أجور الذين يساعدونهم بالصلاة في بيوتهم.

لم يسترد داود ممتلكاته فقط بل أيضًا غنائم كثيرة فوقها، كما استفاد اختبارًا جديدًا مع الرب. وهو معرفة طرق الله بالنعمة، وأصبح داود بهذا سببًا ليس في إثراء نفسه فقط بل شيوخ يهوذا واسرائيل أيضًا إذ أرسل من الغنائم إلى أكثر من إحدى عشرة مدينة وكان منها من تبعد عن صقلغ بنحو ٣٠ كيلومترًا، وهذا ما ينبغي

أن يكون عليه الحال معنا أن يستفيد من اختباراتنا بعد رد نفوسنا إخوتنا أيضًا. ونرى هنا أيضًا صورة جميلة عن المستقبل عندما ينتصر مليكنا الآتى على كل أعدائه فيعطى كل شعبه أن يشاركوه أمجاد انتصاراته.

الدروس المستفادة من حريق صقلغ:

هي أن الأزمات الصعبة لا تصنع الرجال بل تكشف معدنهم، قد تكون عاملاً من عوامل البناء الروحي ولكن ليس العامل الأساسى إذ أن العامل الأساسى في البناء الروحي هو التصرفات البسيطة والقرارات الصغيرة التي لا يلتفت إليها الآخرون، أما صبغتنا الحقيقية فتظهر عندما تعترضنا أزمة صعبة، ونستطيع أن نرى هذا فيما ظهر من رجال داود وما ظهر من داود. لقد بكى رجال داود، وبكى داود أيضًا ولكن قال رجال داود برجمه، أما داود فقد تشدد بالرب إلهه. لقد ظهر في هذه الأزمة معدن رجال داود ومعدن داود أيضًا.

ولكن كيف نحصل على التشجيع والتعضيد اللازم لنا ونصل إلى ما فعله داود؟ بلا شك بالتطلع إلى الله وطرح الأزمة أمامه ونتشدد به إذ ليست أزمة مستعصية عليه، بل أصعب الأزمات حلها جاهز عنده، ينبغي أن نتصرف كما تصرف داود:

أولاً: بالخضوح لإرادة الله الأمر الذي برهنه داود بطلب الأفود من أبياثار الكاهن لمعرفة كيفية التصرف في هذه الأزمة.

ثانيًا: طلب القوة من الله للتصرف حسب إرادته ومشيئته التي لا يتأخر الله في إعلانها فورًا «تدرك وتنقذ» ولم يتعوق بالتأمل

في أخطائه السابقة بل انطبق القول «هو العامل فيكم أن تريدوا وأن تعملوا من أجل المسرة» (في ٢: ١٣). أعطى الرب داود ورجاله القوة اللازمة لتنفيذ إرادته «وأما منتظرو الرب فيجددون قوة يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيون» (إش ٤٠: ٣١). ويكتب بولس قائلاً «أستطيع كل شيء في المسيح الذي يقويني» (في ٤: ١٣).

ينبغي أن يكون هناك الثقة في الله بأنه يكمل ما بدأه، لأن داود لم يكن يعرف مكان وجود أعدائه والرب هو الذي قاده إلى مكانهم عن طريق الرجل المصري، كما أن الرب قد حفظ كل ما سلبه العمالقة، لم يمدوا أيديهم إليه. ونحن نستطيع أن نقول ما اختبره موسى في تثنية ٣٢ «الرب هو الصخر الكامل صنيعه» كما نقول «هذه هي الغلبة التي تغلب العالم إيماننا» (١يو ٥: ٤) إذ أربع مرات نقرأ في الكتاب «البار بالإيمان يحيا» إنه يخلص بالإيمان وهذه هي البداءة، ويعيش بالإيمان، وإذا فاجأتنا الأزمات نستطيع أن نعمل كثيرًا من الأعمال بالإيمان. يقول المرنم «سلم للرب طريقك واتكل عليه وهو يجرى» (مز ٣٧: ٥) ومثل داود نعمل ما يأمرنا به الرب، وأيضًا مثل داود نثق في الرب من جهة ما لا نستطيع أن نعمله إذ لابد أن يعمله هو.

الأصحاح الحادي والثلاثون

وحارب الفلسطينيون إسرائيل، فضرب رجال إسرائيل من أمامهم وسقط منهم الكثيرون قتلى في جبل جلبوع. فشد الفلسطينيون وراء شاول وبنيه الثلاثة. يوناثان وأبيناداب وملكيشوع. واشتدت الحرب على شاول وأصابه الرماة رجال القسى. حاملو الأقواس فانجرح جدًا، فقال لحامل سلاحه. استل سيفك واطعنى، فلم يشأ، فأخذ شاول سيفه وسقط عليه ومات، وكذلك حامل سلاحه، لقد أنهى شاول حياته بيده، وهذه خدعة كبرى من الشيطان الذي يغرى الخطاة تحت ضغط الظروف الصعبة أن يلجأوا إلى هذا العمل اليائس الأخير، وكان من الأفضل أن يحصنوا أنفسهم ضد هذه الأفكار بالتفكير في مدى خطورة الإقدام على هذا العمل الذي يعد خطية شنيعة في نظر الله. إننا لا نستطيع أن نجد الأمان في أنفسنا، بل يجب أن نطلب الاحتماء بالرب القادر أن يحفظنا في كل الظروف.

وورد في ٢صموئيل ١: ٦-١٠ أن رجلاً عماليقيًا جاء إلى داود ثيابه ممزقة. وتراب على رأسه من موقع المعركة وقال له إنه نجا من هناك، فقال له داود: "كيف كان الأمر؟" فقال له: "إن الشعب قد

هرب من القتال وسقط كثيرون قتلى ومات شاول ويوناثان ابنه". فقال له: "كيف عرفت أن شاول قد مات ويوناثان ابنه؟" فقال له: "اتفق أنى كنت في جبل جلبوح وإذا شاول يتوكأ على رمحه فقال له شاول قف واقتلنى، فوقفت عليه وقتلته لأني علمت أنه لن يعيش بعد وأخذت الاكليل الذي على رأسه والسوار الذي على ذراعه وأتيت بهما إلى سيدي ههنا." وربما يظن القارئ أن هناك تناقضًا بين ما ورد في ١صموئيل ٣١ و٢صموئيل ١ حيث لا يُقال في ١صموئيل ٣١ إنه مات منتحرًا وفى ٢صموئيل ١ أن العماليقى قتله وتفسير ذلك أن الأحداث تعاقبت كما يلى: أولاً طلب شاول من حامل سلاحه أن يقتله فرفض، فأخذ شاول سيفه وسقط عليه لكي ينهى حياته لكنه لم ينجح تمامًا في ذلك، وظل في شدة آلامه يتوكأ على رمحه حتى تصادف أن مر به هذا العماليقى فطلب منه شاول أن يقتله لأن نفسه كانت لم تزل فيه (٢صم ٦: ٩) وهكذا فعل العماليقى وقتله. هذه النهاية الأليمة تقدم درسًا نافعًا: لقد أخطأ شاول إلى الرب في إبقائه على عماليق الذي كان رمزًا للجسد، وهذا ما ذكَّره به صموئيل وهو ينبئه بقضائه، وقد تسبب عصيانه في خراب نفسه. هكذا تفعل الخطية، وهكذا تنتهي حياة شاول على يد عماليقى، فإذا تركنا الخطية فلابد أن تكون لها نتائجها المدمرة، كما أبقى شاول على حياة عماليق فانتهت حياته على يد عماليق. ولكن داود قتل العماليقى لأنه قتل مسيح الرب. وانتحار شاول هو أول حادثة انتحار تُذكر في الكتاب ونجد في المكتوب ثلاثة رجال قتلوا أنفسهم حيث يذكر في ٢صموئيل ١٧: ٢٣ أخيتوفل، وكذلك في ١ملوك ١٦: ١٨ أن زمرى قتل نفسه، وكذلك يهوذا

الاسخريوطى في متى ٢٧: ٥، وفى خروج ٢٠: ١٣ نجد وصية من الله أن لا يقتل الإنسان وهى وصية مطلقة تشمل نفسه أيضاً.

ومما يدعو للأسى ما سجله الروح القدس عن نهاية يوناثان «وسقطوا قتلى في جبل جلبوح... فمات شاول وبنوه الثلاثة وحامل سلاحه..» فنهاية طريقه لم تكن في توافق مع بدايته. لقد هجر المركز المقدس الذي شغله في مخماس فانهزم وقتل مع شاول وجيشه في معركة جلبوع الرهيبة.

ذاك الذي عمل مع الله في بداية طريقه سقط مع شاول في نهاية الطريق. لماذا حدث هذا ليوناثان؟

لقد كانت التجارب والصعوبات التي أحاطت بيوناثان غير عادية. فمن جهة كان هناك ما هو واجب أن يؤديه لشاول كالممسوح من الرب والجالس على العرش. كانت له مطاليب وحقوق من الواجب على الرعية أن تؤديها. هذا علاوة على أنه كان أباه. ومن جهة أخرى كان ليوناثان الحياة الروحية التي تعطى لله المكان الأسمى والتي تجد سرورها في إتمام مشيئته وإعلان مقاصد نعمته. وكان يوناثان بالنعمة على نقيض أبيه، فقد اعترف بمشيئة الرب وأحب داود كثيرًا. وكانت محبته لداود حقيقية وفى بعض الأحيان كانت مرتبطة بإنكار الذات لكنه لم يستطع أن يتبع داود. لقد تعلم من الله أن يحب لكنه فشل في تعلم الدرس الآخر وهو «لا تحبوا العالم» لقد غلب العدو ولكنه لم يغلب العالم (١يو ٢: ١٤-١٧) فهو قد كسر جيوش الفلسطينيين لكي يخلص الشعب. لقد قبّل داود وبكى لكنه افترق عنه.

فبينما ذهب داود في طريقه الموحش كشخص منفى ومطرود رجع هو إلى المدينة (١صم ٢٠: ٤١، ٤٢) وهذا ما حدث أيضًا مع الرب يسوع المسيح فهو له المجد قد جُرح في بيت أحبائه. والذين نظير يوناثان تحدثوا عن المستقبل - عن يوم مجده - وعن رغبتهم في الجلوس على جانبيه في ملكه «وأنت تملك على إسرائيل وأنا أكون لك ثانيًا» (١صم ٢٣: ١٧). لكن في يوم رفضه وجدوا للأسف مع أعدائه أكثر من وجودهم معه.

وقد خسر يوناثان كثيرًا بمسلكه الذي سلكه، فقد حرم من الشركة مع داود ومن فرص كثيرة لخدمته. وقد كان سلوكه هذا غير متناسب مع رجائه الذي كان ينتظره. وبوجوده مع شاول كان في خطر دائم من الوقوع ضحية خراب مملكة شاول. وقد كانت «جلبوع» هي الوسيلة لإظهار ما كان مقررًا من قبل، وهو وقوع الدينونة على مُلك شاول. وما أشد الضربة التي وقعت هناك... لكنها كانت ضرورية لحق الله ولمجد داود.

إن الارتباط مع المسيح في رفضه أمر متعب وشاق للجسد، فما أكثر الروابط التي يجب أن تُفصم.. وما أكثر الصداقات التي يجب التضحية بها.. وما أمر العداء الذي سنواجهه، لكن أليست دعوة الروح القدس تبدو متوافقة وضرورية لهذه الأيام التي نعيشها «فلنخرج إذًا إليه خارج المحلة حاملين عاره» (عب ١٣: ١٣). لقد كان أبطال إسرائيل برفقة داود في الكهوف والمغاير غير متمتعين بالحقول والكروم والامتيازات التي صنعها شاول وهكذا يجب أن نكون نحن المؤمنين في هذه الأيام.

أما سكان يابيش جلعاد فقد أنزلوا جسد شاول وبنيه الثلاثة وأحرقوها ودفنوها اعترافًا بفضله في إنقاذهم من ناحاش العموني.

وهكذا نجد أن شاول عاش عاصيًا ومات كذلك.

ونجد في تاريخه عدة أخطاء رئيسية.

١. في ١صموئيل ١٣: ٨-١٤ قدّم محرقة مع أن الشريعة تمنع تقديم الذبائح إلا عن طريق الكهنة.

٢. في ١صموئيل ١٥: ١٧-٢٦ عصى أمر الرب حين عفا عن أجاج ملك عماليق وأيضًا عن خيار الغنم والبقر التي لعماليق.

٣. لم يقبل حكم الرب برفضه من المُلك وإعلان أن داود هو ملك إسرائيل (١صم ١٨: ٨ ؛ ٢٠: ٣١).

٤. أراد أن يقتل يوناثان حين دافع عن داود (١صم ٢٠: ٣٣).

٥. أراد أن يقتل داود مرات كثيرة (ص ١٨: ١١ ؛ ٢١: ٥،...).

٦. لم يف بوعده بترك داود حيًا (ص ١٩: ٦، ...).

٧. قتل كهنة الرب جميعًا بحد السيف (١صم ٢٢).

٨. طلب من المرأة صاحبة الجان أن تستحضر له روح صموئيل (١صم ٢٢).

٩. في ٢ صموئيل ٢١ حين حدث جوع أيام داود وطلب داود وجه الرب - فقال له - هذا الجوع من أجل أن شاول قتل الجبعونيين مع أن يشوع قد أعطاهم الوعد بالحياة وقال الرب أيضًا أن الجوع لن يتوقف حتى ينفذ طلب الجبعونيين بصلب سبعة من نسل شاول، وتم صلبهم فعلاً. بنى رصفة سرية شاول، وبنى ميكال ابنة شاول من عدرئيل الحولى. وتوقف الجوع فعلاً بعد صلبهم طبقًا لكلمة الرب.

وانتهت حياة شاول الملك الذي اختاره الشعب نهاية أليمة وتبدو كلُ الآمال أنها قد تبددت. وتعلق رجاء الشعب في مجئ الملك الذي حسب قلب الرب – داود بن يسى – وفيه نجد إشارة للملك الحقيقي ومملكته القادمة. وهذا ما نراه في السفر التالي.

«وقضى صموئيل لإسرائيل كل أيام حياته. وكان يذهب من سنة إلى سنة ويدور في بيت إيل والجلجال والمصفاة ويقضي لإسرائيل في جميع هذه المواضع. وكان رجوعه إلى الرامة لأن بيته هناك وهناك قضى لإسرائيل وبنى هناك مذبحًا للرب». (١صم ٧: ١٥-١٧)

«وماذا أقول أيضًا لأنه يعوزني الوقت إن أخبرت عن جدعون وباراق وشمشون، ويفتاح وداود **وصموئيل** والأنبياء... فهؤلاء كلهم مشهودًا لهم بالإيمان لم ينالوا الموعد إذ سبق الله فنظر لنا شيئًا أفضل لكي لا يكملوا بدوننا». (عب ١١: ٣١، ٣٩، ٤٠)

سفرا صموئيل وسفرا الملوك لهما في الترجمة السبعينية الاسم: «السفر الأول والثاني والثالث والرابع للمملكة». ويظهر سفرا صموئيل الأول والثاني ككتاب واحد، وكذلك سفرا الملوك.

كما أن سفري صموئيل أطلق عليهما اسم «الأنبياء الأولون». ولا يعنى إطلاق اسم صموئيل على السفرين أن صموئيل هو كاتبهما لأن جزءًا كبيرًا من محتوياتهما حدث بعد موت صموئيل. والإشارة الأولى عن كاتبهما نجدها في ١ أخبار الأيام ٢٩: ٢٩ «وأمور داود الملك الأولى والأخيرة هي مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي».

وينقسم السفر إلى ثلاثة أقسام.

١- ميلاد صموئيل - طفولته وتأهيله لكي يكون قاضيًا.

٢- مسح ملك إسرائيل الأول شاول ورفضه.

٣- مسح داود ملكًا.




9 789775 060716